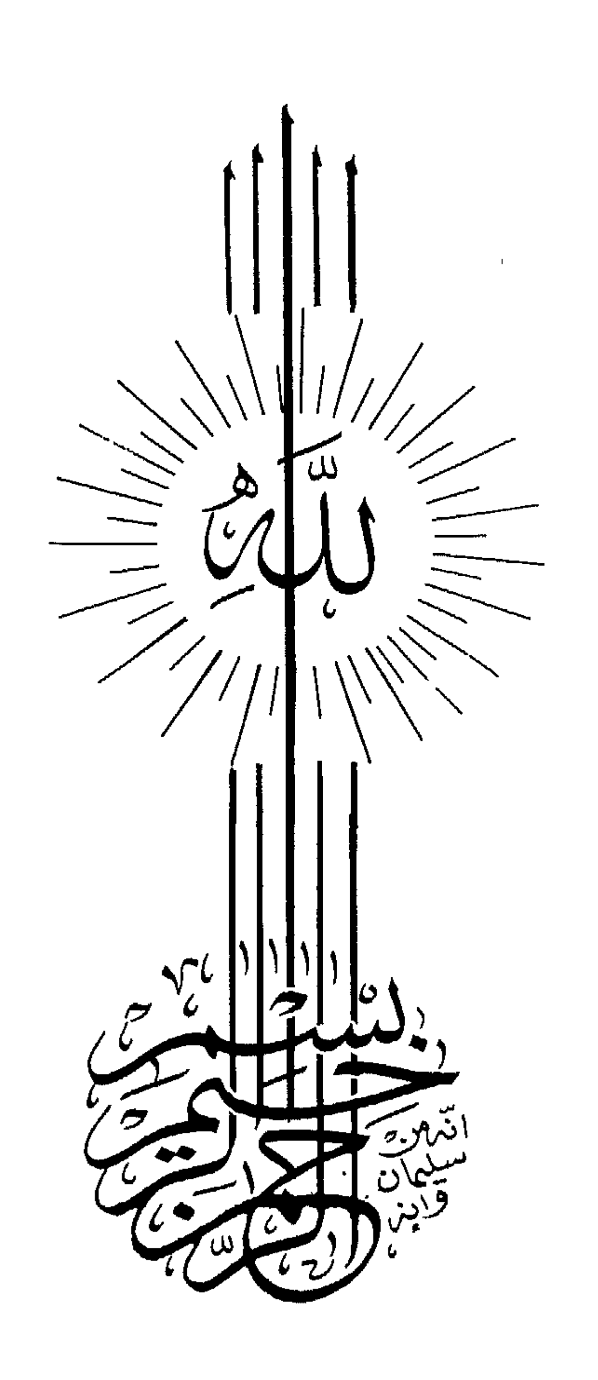

لماذا عدد
النبي زوجاته


الله
بسم الله الرحمن الرحيم
انه من سليمان وانه

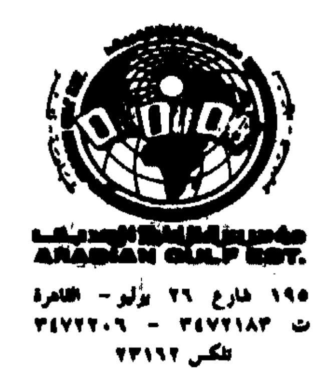


الدكتور أحمد الحوفي

مؤسسة الخليج العربي
ARABIAN GULF EST.

الطبعة الثانية

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



١٩٥ شارع ٢٦ يوليو - القاهرة
ت ٣٤٧٢١٨٣ - ٣٤٧٢٢٠٦
تلكس ٢٣١٦٢

بسم الله الرحمٰن الرحيم

تمهيـــــد

مازال كثير من المبشرين والمستشرقين يلغطون بأن محمد ابن عبد الله عليه الصلاة والسلام كان مزواجاً ، إذ وجد فى النساء متعة لجسده ، وريا لظمئه ، فاستكثر منهن .

وقد أطالوا القول فى هذا ، وأسرفوا إسرافاً يكشف عن موجدة ومعاداة للحق .

وإذا كان هؤلاء وأولئك لا يملون إشاعة الأراجيف فإننا لا نمل إذاعة الحقائق .

والعجب أن بعض الباحثين من المسلمين وبعض المنصفين من غيرهم قد ردوا على تلك الأراجيف ردوداً تقوضها ، ولكن أصحابها صمُّوا أو تصامُّوا ، فما زال بعضهم يلغط بما لغط به سابقوه .

وفى هذا البحث تفنيد مفصَّل لأباطيل المرجفين أحببت أن أساهم به فى القضاء عليها .

وقد اقتضى هذا التفنيد مقدمتين لا مندوحة عنهما ، هما كالمعالم على جانبى الطريق تهدى إلى الرشاد ، أو كالنور الهادى الذى يعصم من الخبط والزلل .

ثم احتاج إلى تفصيل موضح للزواج النبوى فى كل مرة .

وبعد هذا كله جاءت النتائج التى تكشَّف البحث عنها حقاً لا ريب فيه ، وصدقاً لا يرقى كذب إليه ، والحمد لله الهادى إلى سواء السبيل .

المقدمة الأولى

لمحة إلى سيرة النبى

١ — لقد عاش النبى ﷺ فى مكة بين قومه أربعين سنة قبل البعثة هى الفترة التى فيها قوة الصبا ، وثورة الشباب ، وفورة الرجولة ، فكان المثل الأعلى فى الاستقامة والعفة والطهر والشرف ومكارم الأخلاق ، حتى أن مشركى مكة بعد أن صدع بالدعوة ، وبعد أن سَفَّه عقولهم وآلهتهم ، وبعد أن نَشِبَ الصراع بينه وبينهم ، لم يجرؤ واحد منهم على اتهامه بما يمس عفته وطهره ، فى الوقت الذى كانت عداوتهم له تغريهم بتلفيق الاتهام ، وافتراء الدعاوى ، وإشاعة الأراجيف ، ليعوِّقوا الدعوة ، وليصرفوا الناس عن الاستجابة لها ، وليزعزعوا الثقة فى صاحبها .

وإنه ليسترعى الانتباه أنهم — وقد أعجزهم بالقرآن الكريم — اتهموه بأنه شاعر ، قال تعالى : ﴿بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أُرْسِلَ الأولون﴾[1] .

وزعموا أنه ساحر ، قال تعالى : ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾[2] .

وادعوا أنه كاهن ، قال تعالى : ﴿ فلاأقسم بما تبصرون

---

(١) سورة : الأنبيـاء ٥ .

(٢) سورة : ص ٤ .

ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم ، وماهو بقول شاعر ، قليلاً ماتؤمنون ، ولا بقول كاهن ، قليلاً ماتَذَكَّرون ، تنزيلٌ من رب العالمين ﴾[١] .

ونسبوا إليه الجنون ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإنْ يكادُ الذين كفروا ليُزْلِقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ، ويقولون إنه لمجنون ﴾[٢] .

واتهموه بأنه يطلب أن ينقل له ما فى كتب السابقين ، قال جل وعلا : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ، فهى تُمْلَى عليه بُكْرةً وأصيلا ﴾[٣] .

ولكنهم لم يستطيعوا أن يتقولوا عليه ما يمس عفته وطهره ، ولو أنهم وجدوا منفذاً إلى التقول لفعلوا ، وما تورعوا ، ولبالغوا وأشاعوا وادعوا .

فهو لم يهم بفاحشة قط ، حتى أن يده لم تمس يد امرأة إلا إذا كانت زوجة له أو ذات محرم أو ملك يمين[٤] .

وهو يتحدث عن ماضيه فى شبابه حديثاً صريحاً فيقول : «ماهممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بينى وبين ماأريد ، ثم ماهممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته .

---

(١) سورة : الحاقة ٣٨ — ٤٣ .

(٢) سورة : القلم ٥١ يزلقونك : يزيلونك عن مكانك من الأرض ..

(٣) سورة : سورة الفرقان ٥ .

(٤) الإحياء للغزالى وهامشه٢/٣١٥ .

فإنى قد قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معى بأعلى مكة : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسْمُرَ بها كما يَسْمُرُ الشباب ؟

فقال : أفعـــل .

فخرجت أريد ذلك ، حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوج بفلانة بنت فلان ، فجلست أنظر إليهم ، فضرب الله على أذنى ، فنمت ، فما أيقظنى إلا مَسُّ الشمس .

ثم جئت صاحبى ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما صنعت شيئاً ، ثم أخبرته الخبر .

ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجت ، فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت حين دخلت مكة تلك الليلة ، فجلست ، فضرب الله على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس .

فرجعت إلى صاحبى ، فأخبرته الخبر ، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله عز وجل برسالته »[1] .

٢ - وكان رسول الله ﷺ شديد الزهد فى متع الحياة الدنيا كما يتبين من دراسة حياته والإلمام بأخلاقه[2] .

تاريخ الطبرى ٢/١٩٦ .

(٢) راجع كتاب من أخلاق النبى لأحمد الحوفى .

وقد رَبَّى بزهده كثيراً من الرجال تخلقوا بمثل خلقه ، فانصرفوا عن الخضوع للذات وأهواء النفوس ، كأبى بكر وعمر وعلى وغيرهم.

قالت السيدة حفصة لأبيها عمر بن الخطاب حينما فتحت عليه الفتوح : البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر .

فقال عمر : يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجال أهل بيته ؟

فقالت : بلى .

قال : قد ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غُدْوةً إلا جاعوا عَشِيَّة ، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوه ؟ وناشدتك الله هل تعلمين أن النبى ﷺ لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليهم خيبر ؟ وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قربتم إليه طعاما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ؟

وناشدتك الله عل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طبقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعتمونى قيام الليل بهذه العباءة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ؟

فمازال يقول حتى أبكاها ، وبكى عمر وانتحب[١] .

على أن هذا الزهد لم يكن عن ضيق يد أو فقر شديد كما يظن بعض الناس ، وإنما كان عزوفاً عن المباح مع القدرة عليه ، تهذيباً للنفس ، وإيثاراً لنفع الآخرين ، لأن العزوف الناشئ عن عجز وضيق اضطرار لا مندوحة عنه ، فلا يسمى زهداً[٢] .

وحسبنا أن نشير إلى بعض مظاهر زهده ﷺ .

(أ) فهو لم يتأثر بشيء من المال الكثير الذى تدفق من الغنائم والفيء والجزية والصدقات والهدايا ، بل اقتصر على الخمس ، ثم لم يمسك درهماً من هذا الخمس ، بل أنفقه فى وجوهه ، وقَوَّى به المسلمين ، وأسعف به غيره ، قال : ما يسرنى أن لى أُحُدا ذهبا يبيت عندى منه دينارا إلا دينارا أرصده لدينى .

وأتته دنانير فقسمها ، وبقيت منها ستة ، فدفعها إلى بعض نسائه ، لكنه لم ينم حتى قام وقسمها ، وقال : الآن استرحت .

واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو إليه الضرورة ، وزهد فيما سواه[٣] .

ولما قبض لم يترك عند موته درهما ولا دينارا ولا عبداً ولا أمة ولا شيئا ، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة[٤] .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ١٩٢/٤ .
(٢) راجع من أخلاق النبى ٢٥٧ .
(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض ٧٣/١ .
(٤) فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى للبخارى عبد الله الشرقاوى ٢٨٩/٢ .

(ب) ولم يجمع فى بطنه طعامين ، فإن أكل لحماً لم يزد عليه ، وإن أكل تمراً لم يزد عليه ، وإن أكل خبزاً كفاه ، وإن وجد لبناً دون خبز أغناه[١] .

وكان يأكل ما حضر ، ولا يرد ما وجد ، ولا يأكل متكئا[٢] .

قالت السيدة عائشة : لم يمتلىء جوف النبى شبعاً قط ، وكان لا يسأل أهله طعاما ولا يتشهاه ، إن أطعموه أكل ، وما أطعموه وما سقوه شرب[٣] .

(جـ) كذلك كان فى ملابسه وفراشه وآنيته .

كان يلبس ما يتيسر من اللباس ، فلبس الصوف تارة ، والقطن تارة ، والكتان تارة ، ولبس البرود اليمنية ، ولبس الجبة والقباء والقميص والسراويل والإزار والرداء والخف والنعال[٤] .

ولم يلبس الحرير قط ، ونهى عن الشرب فى آنية الذهب والفضة وعن الأكل فيها ، وعن لبس الحرير والجلوس عليه .

وكان ينام على الفراش تارة ، وعلى النِّطْع تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى الأرض حينا ، وعلى السرير حينا ، وكان فراشه أَدَماً حشوه ليف ، وكذلك وسادته[٥] .

---

(١) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ وإحياء علوم الدين ٣١٧/٢ .
(٢) الإحيـاء ٣١٧/٢.
(٣) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للخضرى ٣٨٣ .
(٤) زاد المعاد ٥٠/١ لابن القيم .
(٥) زاد المعاد ٥٤/١ والإحياء ٣٢١/٢ النطع : الجلد . الأدم : الجلد .

ولكنه كان إلى هذا كله المثل الأعلى فى النظافة[١] .

(د) ولم يأخذ نفسه وحدها بالزهادة ، بل زَهَّد أقرب الناس إليه ، فطبق زهده على زوجاته وعلى ابنته السيدة فاطمة ، ليجعل منهن قدوة للمسلمات[٢] .

ولو أنه أراد أن يغدق عليهن لفعل ، إذ كان من الميسور له أن يفرض لنفسه ولأهله من الغنائم والأنفال ما يزيد على حاجته ويرضى زوجاته ، وأنه لمطمئن إلى أن المسلمين سيرضون بما فرض معتقدين أنه تشريع من الله تعالى ، ولكنه لم يفعل ، فضرب بقناعته وزهده فيما يملكه وفيما يستطيع أن يملكه المثل الأعلى للرجل الكامل ، وللحاكم العظيم ، وللمالك الذى يتصرف فى ملكه بما يشاء إلا أن يخضع لميل من ميول النفس أو لنزعة من نزعات الهوى .

وله عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة فى الحض على العفة وعلى الزهد وعلى الحياء .

٣ - وقد تزوج السيدة خديجة وهى أكبر منه سنا ، تزوجها وسنه خمس وعشرون سنة ، وكانت قد بلغت الأربعين ، ولكنه عاش معها خمسا وعشرين سنة إلى أن توفيت وهما يتبادلان أطيب الود وأعظم الوفاء ، ولم يفكر فى أن يضم إليها زوجة ثانية كما كان يفعل

---

(١) من أخلاق النبى ٢٧٠ .

(٢) من أخلاق النبى ٢٦٨

كثير من قومه ومن غير قومه ، إذ كان تعدد الزوجات نظاماً شائعاًوعرفاً ذائعاً ، ولم يكن له حد ينتهى إليه[١] .

وأن طيب عشرته للسيدة خديجة ، ووفاءه لها بعد موتها ، وحدبه على أقاربها وصواحبها ليدعونا إلى أن نؤكد أو نرجح أنها لو عاشت ماتزوج غيرها .

٤ — وأنه لذو عزيمة قوية غلابة عصمه الله بها قبل البعثة ، ثم عصمه بها بعد البعثة .

وقد شهدت زوجته السيدة عائشة بأنه لا نظير له فى ضبط حواسه والتحكم فى مشاعره ، والسيطرة على رغباته ، فقالت هذه الكلمة الجامعة « كان أملككم لأرْبه »[٢] .

وقالت : « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان »[٣] .

وقالت : « كان عمله ديمة ، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق ؟ »[٤] .

---

(١) المرأة فى الشعر الجاهلى ٢٣٤ أحمد الحوفى . وقد شرع تحديد العدد بأربع فى السنة الثامنة للهجرة بقوله تعالى : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ سورة النساء ٣ .

(٢) الأرب بفتح الهمزة وكسرها الهوى والحاجة والعقل والدين .

(٣) فتح المبدى ٢/١٦٠ .

(٤) فتح المبدى ٢/١٦٣ ديمة : دائما .

٥ — ولن يستطيع أحد أن ينكر أن أعباء الرسالة الجسام كانت تستنفد جهد النبى ، وتستغرق وقته ، وتمتلك قلبه وعقله وجميع قواه .

فقد كان يتلقى كتاب الله فيحفظه ، ويمليه ، وإذا اختلف القراء فى قراءة رجعوا إليه ، وكان يشرع للمسلمين ، ويسوس شئونهم ، ويفصل فى أمورهم ، ويؤمهم فى صلواتهم الخمس ، ويقضى فى خصوماتهم .

وكان كثير التعبد ، حتى ليصوم كثيرا ، ويقوم الليل طويلا ، ويهجر النوم ليستغرق فى صلواته حتى لقد كانت تتورم قدماه ، وكان يطيل سجوده حتى يظن من يراه أنه قبض .

وكان فى حروب متوالية مع المشركين ومع اليهود ، لا يفرغ من حرب حتى يعد العدة لحرب ، دفاعاً عن دينه وعن وطنه .

كان عليه الصلاة والسلام صاحب رسالة سماوية ، ورئيس دولة ناشئة فتية مثالية ، وأستاذاً لشعب يفتديه بالأرواح .

فمن أين له فسحة الوقت وفراغ البال وهدوء النفس ليستكثر من الزوجات استكثار الظمآن إلى نساء ؟

ولماذا لم يفعل شيئاً من ذلك قبل البعثة ، وهو خلىٌّ من أعباء الرسالة وتبعات الجهاد ومشكلات الألوف المؤلفة من الأتباع الذين يراهم بنيه الأوفياء ويجدون فيه ملاذهم الرحيم وأباهم البار ؟

ولسنا بهذا نجرد النبي ﷺ من البشرية فإنه كان كسائر الأنبياء بشراً يأكل ويشرب ، ويصحو وينام ، ويصح ويمرض ، ويرضى ويغضب ، شأنه في هذا شأن سابقيه من إخوانه من الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ وماأرسلنا قبلك إلا رجالا نُوحِي إليهم ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ، وما كانوا خالدين ﴾[1]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل ما كنت بِدْعا من الرسل ، وما أَدْرِي ما يُفْعَل بي ولا بكم ، إنْ أتَّبع إلا ما يُوحَى إليَّ ، وماأنا إلا نذير مبين ﴾[2] .

فهو كسائر الأنبياء بشر ، يتزوج وله أولاد ، كالذين بعثهم الله من قبله ، قال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾[3] .

فقد تزوج الأنبياء من قبله وعددوا زوجاتهم ، مثل جديه إبراهيم وإسماعيل ، ومثل نوح وإسحاق ، وداود وسليمان ، ولم يثر أحد حول أحدهم غباراً أو استنكاراً .

---

(١) سورة : الأنبياء ٧ - ٨ .

(٢) سورة : الأحقاف ٩ .

(٣) سورة : الرعد ٣٨ .

هذا مع أن تعدد زوجات النبى ﷺ كان لضرورات ، وكان لحكم شتى سيأتى تفصيلها .

فمن الخطل أن يجترىء أحد بعد هذا كله فيتطاول إلى سماء النبى العالية ، فيصفه بأنه كان مشغوفاً بالنساء ، كلفا بالاستمتاع بهن ، ولهذا استكثر من الزوجات .

□○□○□

المقـدمة الثـانية

التعـــدد نظـام قـديم

أليس من العجب العجيب زعم رجال الدين في العصور الوسطى أن تعدد الزوجات نظام اخترعه محمد ؟[١] .

إن أصحاب هذه الفِرْية لمخطئون خطأ فاحشا ، أو جاهلون جهلا فاضحا ، لأن التعدد أسبق من الإسلام بمئات الأعوام..

وذلك أن الأمم القديمة كانت كلها تمارس التعدد ، فالعبريون عددوا منذ عهد قديم ، والتوراة أباحت التعدد ولم تحدد العدد ، ثم حدده التلمود[٢] ، وبلغ عدد نساء سليمان مائة امرأة[٣] ، وحدد الربانيون العدد بأربع مستدلين بأن يعقوب جمع أربع زوجات[٤] ، ومازال اليهود يعددون زوجاتهم فى أوربا إلى القرون الوسطى ، ومازالوا يمارسونه إلى اليوم فى العالم الإسلامى[٥] .

وكان مباحاً للأثينى أن يتزوج أى عدد من النساء ، حتى لقد افتخر ديموسين بأن فى عصمته ثلاث طبقات منهن ، طبقتان منها زوجات شرعيات وشبيهات بالشرعيات[٦] .

---

(١) قصة الحضارة ١/٧٠ ول ديورانت .

(٢) حضارة العرب ٤٨٣ جوستاف لوبون وقصة الحضارة ١/٧٠ ول ديورانت والنظم الاجتماعية والسياسة ٦٨ محمد جمعة .

(٣) سفر التثنية الصحاح ١٧ وتاريخ الطبرى ١/٢٦٠ .

(٤) شعار الخضر فى الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين ٨٣ ترجمة وشرح : مراد فرج .

(٥) النظم الاجتماعية والسياسة محمد جمعة ٦٨ .

(٦) مركز المرأة فى الإسلام ٢٠ ، ٣٦ للسيد الأمير على الهندى .

وكان المصريون القدماء يعددون فى عهد ديودور الصقلى ، وكان نبلاؤهم يستمتعون مع التعدد بالإماء وما ملكت اليمين[١] .

وكانت تعاليم زرادشت تخول الفرس أن يعددوا زوجاتهم ، وأن يتخذوا الحظاياوالخليلات ، بدعوى أن الشعوب المحاربة فى حاجة دائمة إلى الفتيان ، ولهذا عدد الفرس ، ولم يكن عندهم قانون يمنع التعدد أو يحدده[٢] .

كذلك عدد الرومان ، ويكفى أن نعلم أن الإمبراطور سيلا جمع خمس نساء ، وأن قيصر جمغ أربعا ، وأن بومبى جمع أربعا مثله[٣] .

أما المسيحيون فقد عدد بعضهم كالإمبراطور قسطنطين وابنه[٤] ، بل أن الامبراطور فلافيوس فالنتيان سن قانونا يبيح التعدد ، أباح فيه لرعايا الدولة جميعاً أن يتزوجوا عدة زوجات إذا شاءوا ، ولم يحتج الأساقفة ورؤساء الكنائس المسيحية ، وكان ذلك فى منتصف القرن الرابع الميلادى[٥] .

ومارس التعدد الأباطرة الذين خلفوا فالنتيان ، واستمر العمل

---

(١) النظم الاجتماعية والسياسية ٦٨ والحضارة المصرية القديمة جوستاف لوبون ٧١ .

(٢) قصة الحضارة الفارسية ٥٨ ول ديورانت ومركز المرأة فى الإسلام ٤٤ وحضارة العرب جوستاف لوبون ٤٨٣ .

(٣) باكورة الكلام على حقوق النساء فى الإسلام ٧٤ .

(٤) مركز المرأة فى الإسلام ٤٢ .

(٥) تاريخ البابوات ٢٥٥/١ Histoire Des Papes. Tom 1. Pz55

بقانونه إلى عصر جستنيان ، حيث حظر التعدد ، ولكنه لم ينجح فى حظره ، إذْ لم يخضع لحظره إلا قلة من المفكرين ، أما أكثر الشعب فلم يعيروه طاعة[١] .

على أن شعوباً أخرى كانت تجرى على نظام التعدد ، كالهنود القدماء والمبديين والبابليين والأشوريين[٢] .

فلا عجب فى أن عدد العرب فى العصر الجاهلى ، وفى أن شاع فيهم هذا النظام ، فمارسه من واتته مقدرته ، أو ألجأته إليه حاجة ، أو توقع من ورائه أى خير .

ويكفى أن نعلم أن المنذر بن الحارث بن أبى جبلة الغسانى الذى كان بطريقاً وحامياً للكنيسة الشرقية تزوج نساء كثيرات ، وكذلك النعمان ملك الحيرة تزوج عدة نساء حتى بعد تنصره ، ويظهر أن الكنيسة لم تكن تبالى ذلك مادام الأمراء غير متزوجين كنسيا إلا بواحدة[٣] .

لهذا أشرق الإسلام وفى ثقيف مثلا رجال عند كل منهم عشر نسوة ، أسلم بعضهم مثل غيلان بن سلمة وسفيان بن عبد الله ومسعود بن عامر ، فنزل كل منهم عن ست زوجات وأمسك أربعا[٤].

(١) مركز المرأة فى الإسلام ٤٢ .
(٢) مركز المرأة فى الإسلام السيد أمير على الهندى ٣٤ .
(٣) أمراء غسان ٣١ نولدكه .
(٤) المحبر ٣٥٧ لابن حبيب ومجمع الأمثال ٣٥/١ للميدانى .

وكان عند قيس بن الحارث ثمانى نسوة ، وعند نوفل بن معاوية خمس ، فخيرهما النبى فى أربع[١] .

وقد كان عند عبد المطلب بن هاشم ست نسوة[٢] ، وعند أبى سفيان ست ، وعند صفوان بن أمية مثلهن[٣] ، وكان المغيرة ابن شعبة قد تزوج سبعين امرأة أو ثمانين أو تسعا وثمانين أو ثلاثا وتسعين[٤] .

ولهذا وجد أبو الحسن المدائنى زاداً يؤلف منه كتابا فيمن جمع أكثر من أربع[٥] .

وهذه لمحة تكفى لإبطال مازعمه بعض خصوم الإسلام أن محمداً عليه الصلاة والسلام هو الذى شرع للناس تعدد الزوجات .

---

(١) عيون المسائل الشرعية ٥٦ على حسب الله .
(٢) سيرة ابن هشام ١١٩/١ .
(٣) الإصـــابة ١٣٩/٨ لابن حجر العسقلانى .
(٤) كنز العمال ٢٨٨/٨ والأغانى ١٣٧/١٤ .
(٥) الفهرست لابن النديم ١٠٢ ومعجم الأدباء لياقوت ١٣/١٤ .

زوجــات النــبى
تفصيـــل وتعليـــل

فلنشرع فى تفصيل زواجه ﷺ مقرونا ببيان الأسباب والملابسات والأهداف من كل زواج ، لينكشف الحق الذى لا مراء فيه .

١ - السيدة خديجــة[1] :

ينطق تاريخ النبى بأنه قضى أنضر سنوات شبابه وأشدها إغراء بالمتعة التى كانت ميسورة فى مكة ، وعاش أعظم أيامه هدوءا أو فراغا لنفسه نزيها عفيفا ، ولم يخطب ولم يتزوج إلى أن بلغ الخامسة والعشرين .

فلو أنه من رواد الاستمتاع كما يزعم المبطلون لانحرف قبل زواجه .

ولو أنه كان ظامئا إلى النساء لتعجل الزواج فى سن مبكرة على عادة الشباب من قومه ومن أترابه .

لكنه بقى فى الخامسة والعشرين حتى تاجر للسيدة خديجة بنت خُوَيْلِد فى مالها ، فأعجبتها أمانته وسيرته .

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١٨١٧/٤ ، ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ، ١٨٨٢ وأسد الغابة لابن الأثير ٤٣٤/٥ والإصابة لابن حجر العسقلانى ٦٠/٨ وفتح البارى ٢٨٥/٩ وتاريخ الطبرى ١٩٦/٢ .

وكانت السيدة خديجة من ذوات الحسب والثراء ، وكانت قد تزوجت مرتين فى بنى مخزوم ، ثم خطبها كثير من كبار قريش ، فرفضتهم ، لأنها أيقنت أنهم يريدونها لثرائها .

فماذا كان الصدى لإعجابها بأمانة محمد وسيرته ؟

لقد أرسلت هى إليه أختها أو صديقتها ، فقالت له : ما الذى يمنعك أن تتزوج ؟

قال : لست أملك ماأتزوج به .

قالت : فإن كفيت ذلك ، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟

قال : فمن هى ؟

قالت : خديجة بنت خويلد .

قال : فكيف لى بذلك ؟

قالت : علىَّ ذلك .

فأعلن لها رسول الله رضاه ، وهو يعلم أن خديجة تكبره بخمسة عشر عاما أو أكثر ، ويعلم أنها تزوجت قبله مرتين .

ثم تم زواج النبى بالسيدة خديجة ، فتوارى فارق السن أمام السعادة والوفاء وطيب العشرة والبهجة بالبنين والبنات ، إذ ولدت له السيدة خديجة ، القاسم وعبد الله (وهو الملقب بالطاهر والطيب)[١] وزينب وأم كلثوم وفاطمة ورقية .

---

(١) زاد المعاد لابن القيم والروض الأنف للسهيلى والمعارف لابن قتيبة .

وأنه ليسترعى النظر أن النبى عليه الصلاة والسلام كان وهو يسعد بهذه الحياة الزوجية مع السيدة خديجة يترك بيته الليالى ذوات العدد يقضيها مفكراً متعبداً فى غار حراء ، ويحرص على التحنث فى هذا الغار شهر رمضان من كل عام ، حيث يحمل إليه ما قل من الطعام ، فلو أنه ﷺ من ذوى الكلف بالنساء ما فارق بيته إلى غار قفر فى جبل موحش يقضى به الليالى وحيدا فريدا لا يؤنسه إلا تفكيره وتبتله .

ولقد توارى فارق السن بين النبى وزوجته أمام ما نهضت به السيدة الجليلة من مسارعتها إلى التصديق برسالة محمد ، وتثبيتها له ، ومشاركتها إياه بنفسها وبمالها فى البأساء والضراء إلى أن اختارها الله تعالى .

فقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكان لا يجد من المشركين ما يكره إلا خففت عنه وأيدته وهونت عليه .

ولن ينسى تاريخها العظيم لقاءها الحبيب للنبى حينما نزل عليه الوحى أول مرة ، وقد عاد إليها يرتجف ، فضمته وهدأته وقالت له : والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة ، وتحمل الكَلَّ ، وتَقْرِى الضعيف ، وتعين على نوائب الحق .

ثم انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل – وكان قد تنصر وقرأ

الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل — فقصت عليه خبر محمد ، وأبدت له إشفاقها عليه ، فأطرق مَليًّا ، ثم أخبرها بأن ما أتى محمداً هو الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وبشرها بأنه سيكون نبى هذه الأمة ، وعليه أن يثبت ولا يفزع ، فرجعت إلى النبى فأخبرته بما قال ورقة[1] .

على أنّ النبى ﷺ عاش مكتفياً بالسيدة خديجة وحدها خمسا وعشرين سنة ، لم يشرك معها ضرة ، ولم يفكر فى أن يضم إليها زوجة ، فى مجتمع يجرى على تعدد الزوجات ، وفى فترة من العمر هو فيها يستمتع بريعان القوة وهى تنحدر إلى الكبر والشيخوخة .

فلما افتقدها وعمرها أربع وستون سنة أو خمس وستون[2] حزن عليها حزناً يليق بجلال النبوة وعظيم الوفاء .

ولم يزل طيلة حياته وفيًّا لها ، يعطر ذكراها بالثناء عليها فى غير كتمان لإعجابه بها وحَدَبِه على طيب ذكرها ، على مسمع من زوجاته فيما بعد ، حتى أن السيدة عائشة قالت : ما غرت من امرأة مثل ما غرت من خديجة ، لكثرة ذكر رسول الله إياها ، حتى أنه كان يذبح الشاة فيتتبع صديقات خديجة يهديها إليهن .

وقالت : كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٥٤/١ وتاريخ الطبرى ٢٠٥/٢ وأسد الغابة ٤٣٦/٥ .

(٢) الاستيعاب ١٨١٨/٤ ، ١٨٢٥ وأسد الغابة ٤٣٨/٥ .

يذكر خديجة ، فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوماً من الأيام ، فأدركتنى الغيرة ، فقلت : هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيراً منها ؟ فغضب حتى اختز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا والله ، ماأبدلنى الله خيراً منها ، آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها أولادا إذ حرمنى أولاد النساء .

قالت السيدة عائشة : فقلت فى نفسى : لا أذكرها بسوء أبدا .

وقد توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات .

٢ – سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس[١] .

كانت من أسبق النساء إلى الإسلام ، أسلمت هى وزوجها ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس ، وخالفت بإسلامها بنى عمها وأقاربها ، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فى الهجرة الثانية فراراً من إيذاء المشركين لهما ، فلما عادا إلى مكة توفى زوجها .

كانت السيدة سودة كبيرة السن ثقيلة بطيئة الحركة ، لا تستطيع أن تجد الكُفْء الذى يرضاها زوجة له ، وكانت حسيبة لا ترضى أن يتزوجها من لا يكافئها ولا يعادلها .

---

(١) الإصابة ١١٧/٨ والاستيعاب ١٨٦٧/٤ وسيرة ابن هشام ١١/٤ ، ٢٩٢ وأسد الغابة ٤٨٤/٥ .

ولم تكن تستطيع أن ترجع إلى أهلها الذين أسلمت على كره منهم ، لئلا يؤذوها ويردوها عن الإسلام .

فماذا فعل النبى عليه الصلاة والسلام ؟

لقد كرمها إذ تزوجها قبل الهجرة بسنتين ، ولكنه لم يبن بها إلا فى المدينة ، أى بعد موت السيدة خديجة بثلاث سنوات .

كان هذا الزواج حماية لسودة من أذى قومها الغلاظ ، وكان تكريماً لمبادرتها إلى الإسلام ، وفرارها بدينها ، وصبرها على الاستمساك بعقيدتها ، وكان مواساة لها عن زوجها ، ولم يخل هذا الزواج من استمالة قومها وتأليف قلوبهم ، لأنهم صاروا أصهار رسول الله ، فهو إذن زواج تكريم ومراعاة لصالح الإسلام ، لا زواج استمتاع واستكثار .

ولا يصح أن ننسى أنها كانت إلى كبر سنها ثقيلة الحركة وبها حدة ، ولهذا قالت للنبى ﷺ : أنت فى حِلٍّ من شأنى ، وإنما أود أن أحشر فى زمرة أزواجك ، وقد وهبت يومى لعائشة .

وقد أمسكها رسول الله حتى توفى عنها مع سائر من توفى عنهن من زوجاته .

□○□○□

٣ – عائشة بنت أبى بكر[١] :

هى أبنة صديق النبى الأول ، وحبيبه الأثير المقرب ، ورفيقه فى هجرته ، وظهيره فى جهاده ، رفيقه الذى طالما بذل من نفسه ومن ماله لنصرة الإسلام ومؤازرة رسول الله ، حتى استحق أن يكون أقرب الناس إلى نفسه ، وأن يكون بمثابة وزيره الأول .

فبماذا يكرم النبى حبيبه أعظم من أن يزيده قربا إلى قربه وشرفا إلى شرفه ؟

لم يكن ثمة أولى من أن يصير إليه ، فيتزوج كريمته السيدة عائشة .

تزوجها النبى ﷺ وهو فى حاجة إلى زوجة بعد وفاة السيدة خديجة بثلاث سنوات ، لأن السيدة سودة بنت زمعة كانت – كما سبق– زوجة إسماً لا فعلاً ، إذ تزوجها النبى تكريماً لها ، وتألفا لقومها ، وهى كبيرة السن ، عالمة بحالها ، ولذا أعلنت النبى بأنه فى حل من شأنه ، وأنها لا تبتغى غير تشريفها بأنها إحدى زوجاته .

وإذا كان النبى بشراً كامل البشرية –وأن يكون قمتها– يجوع ويشبع ، ويظمأ ويروى ، ويصحو وينام ، ويصح ويمرض ، ويرضى ويغضب ، فإنه فى حاجة إلى زوجة ، لأنه لم يَدَّعِ لنفسه أنه مَلَك ،

---

(١) الاستيعاب ١٨١/٤ والإصابة ١٣٩/٨ والطبقات الكبرى ٤٥/٨ وتذكرة الحفاظ للذهبى ١٦/١ وأسد الغابة ٥٠١/٥ .

ولم يصفه القرآن الكريم إلا بما وصف به سابقيه من الرسل أنهم أناسٌ اختارهم الله تعالى لتبليغ شرائعه ، وكان لكل منهم زوجات وأبناء .

ولم تجيء شريعة من هذه الشرائع ، ولم يجيء الإسلام ليحبب إلى البشر الرهبانية ، بل جاء ليكفل صلاح أمور الناس فى دنياهم وفى أخراهم .

وقد تزوج النبى السيدة خديجة من قبل ، وكان له منها أولاد ، وصبر بعد موتها ثلاث سنوات ، فلا غضاضة فى أن يتزوج بعدها .

على أنه ﷺ صاحب بيت ، ولابد للبيت من زوجة تدبر شئونه ، وترعى مصالحه ، وتعده ليأوى إليه النبى وهو صالح لمأواه ، وتزيده أنسا إلى أنسه ، وتعطر بيت النبوة العظيم بشذى من رقة الأنوثة وحنانها ، وتحقق قوله تعالى فى بيان بعض نعمه على عباده : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتَسْكُنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1] .

وإذا كان آلاف من المسلمين يودون أن ينهضوا بخدمة بيت النبى فإنهم لا يكفلون طمأنينة البيت وهدوءه وراحته ووقاره كما تكفله الزوجة ، ولا يستطيعون أن يحققوا ما جاء فى الآية الكريمة من معانى السَّكن والمودة والرحمة .

ثم أن معاشرة النبى لزوجة ولزوجات تتيح لهن أن يعرفن كثيراً

---

(١) سورة : الروم ٢١ .

من التشريع والأحكام والحلال والحرام والمباح ، وتتيح لهن سماع كثير من أحاديثه ورواياتها ، كما يتبين لمن يقرأ كتب الحديث المفصلة ، وكتب الفقه المبسوطة ، وسيجيء طرف من هذا فى النتائج .

على أن وجود زوجة فى بيت النبى ﷺ كان مشجعاً للنساء على أن يفدن إلى بيته كما يفد الرجال ، ليسألن عن شئون دينهن كما يسأل الرجال عن شئون دينهم ، ويسألن السيدة عائشة عما يتحرجن من سؤال النبى عنه مما يختص بالنساء .

وقد كانت السيدة عائشة فتاة زكية سريعة الحفظ مشهورة برواية الحديث والتفقه فى الدين ، ولهذا كان كبار الصحابة إذا أشكل عليهم أمر فى الدين استفتوها فأفتتهم .

قال أبو موسى الأشعرى : ماأشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما .

وقال مسروق : رأيت شيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض[١] .

وقال الذهبى : كانت من أكبر فقهاء الصحابة ، وكان الفقهاء من أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إليها[٢] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٤٥ والإجابة لايراد مااستدركته عائشة على الصحابة ٦١ والاستيعاب ٤/١٨٨٣ .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ١/١٦ .

ولم يقتصر تفوقها على رواية الحديث وعلى الفقه فحسب ، بل كانت فصيحة اللسان ، قوية البيان ، حافظة لكثير من القصائد ، حتى أن هشام بن عروة حدث عن أبيه أنه قال : ما رأيت أحد أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة[١] .

وحدث أبو الزناد فقال:أنه ما رأى أحد أروى للشعر من عروة ، وإن عروة قيل له : ما أكثر روايتك ، فقال : وما روايتى فى رواية عائشة ، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا[٢] .

وقالوا أنها كانت تروى القصيدة ستين بيتا والقصيدة مئة بيت[٣] ، وكانت لبقة حصيفة فى الاستدلال بالشعر والتمثل به ، وقد أسمعت النبى عليه الصلاة والسلام بيتين من شعر أبى كبير الهذلى فسُرَّ وقَبَّل ما بين عَينيها[٤] .

فهى إذن قديرة على حفظ كثير من الأخبار الخاصة بحياة النبى فى بيته وفى خلواته ، وقديرة على تفهم ما لا يستطيع غيرها من النساء أن يتفهمه من تشريع لأحوال خاصة ، ولهذا سجل الرواة كثيراً من الأحاديث النبوية التى روتها ، ودونوا كثيراً من الأخبار التى وعتها ، واستند الفقهاء إلى آراء شتى نقلت عنها ، كما سيجيء فى نتائج الدراسة.

---

(١) الاستيعاب ١٨٨٣/٤ والإصابة ١٤٠/٨ وأسد الغابة ٥٠٤/٥ وتهذيب التهذيب ٤٣٥/١٢ .

(٢) الإصابة ١٤٠/٨ والطبقات ٥٠/٨ والاستيعاب ٧٦٥/٢ .

(٣) الطبقات ٥٠/٨ .

(٤) الإحياء للغزالى ١٠٩/٣ ودلائل النبوة للبيهقى .

لقدْ كان زواج النبى عليه الصلاة والسلام بالسيدة عائشة استجابة للصداقة ، ولحاجات البيت العظيم ، وكان فيه خير للإسلام وللمسلمين من رجال ونساء .

٤ – حفصة[1] :

تلك إبنة ساعده الآخر ، وظهيره ونصيره الذى كان بمثابة وزيره الثانى .

كان زوجها الأول خُنَيْس بن حُذافة السَّهْمى قد توفى جريحاً فى غزوة بدر ، فذكرها عمر لصديقه أبى بكر لعله أن يتزوجها ، فسكت أبو بكر ، فاستاء عمر .

ثم عرضها على صديقه عثمان بن عفان – وكانت زوجته رقية بنت رسول الله قد توفيت – فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم ، لأنه كان يريد أم كلثوم بنت رسول الله ، فعزَّ على عمر إعراض صديقيه أبى بكر وعثمان .

فماذا يفعل ؟

ذهب إلى رسول الله ملاذهم جميعاً ، فشكا إليه أبا بكر وعثمان ، فتدارك الرسول بقلبه الكبير ما داخل نفس عمر من صديقيه ، ونوله خيراً مما كان يريد ، إذ قال له : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة .

(١) الاستيعاب ١٨١١/٤ والإصابة ٢٥/٨ وأسد الغابة ٤٢٥/٥ .

ثم خطبها النبى إلى عمر ، وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة ، وتزوج عثمان أم كلثوم .

فهذا الزواج إذن ضرب من المجاملة والاضطرار والحفاظ الشديد على صفاء الصلات التى بين الإخوة المقربين إلى النبى والذين يؤازرونه فى نشر الدعوة وحمايتها من العدوان . وهو تكريم لعمر كما كان زواج عائشة تكريماً لأبى بكر .

وهو بَلْسَمٌ يشفى ماعساه أن يكون قد مس قلب عمر من رفض صديقيه أبى بكر وعثمان .

ومن ذا الذى يحظر على الرئيس الأكبر والقائد الأعلى أن يحرص على الصفاء بين أتباعه المخلصين ، وأن يسوى بينهم فى التقريب والتكريم ؟

وليس أدل على أن زواج النبى بحفصة تشريف لعمر من أنه لما بلغته إشاعة أن رسول الله طلق حفصة حثا التراب على رأسه ، وقال : مايعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا .

ولم يهدأ إلا بعد مااستيقن أن رسول الله لم يطلقها .

على أن هذا الزواج تكريمٌ لحفصة نفسها ، وتعويض عن زوجها الذى فقدته فى غزوة بدر ، ومواساة عالية .

□○□○□

٥ - أم سَلَمة هند بنت أبي أمية حُذَيْفة بن المغيرة المخزومي[١] :

تزوجها النبي سنة اثنتين بعد غزوة بدر ، وكانت زوجة لأبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن مخزوم .

فلماذا تزوجها رسول الله ؟

لقد كانت هذه السيدة من السابقات إلى الإسلام ، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة ، ثم عادا وهاجروا إلى المدينة وشهد زوجها غزوة بدر ، وكان فارس القوم ، ثم اشترك في غزوة أحد ، فأصابه جرح مات منه .

كانت بين النبي وأبي سَلَمة صلة أخرى حميمة ، لأنه ابن بَـرَّة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ، ولأنه أخوه من الرضاع .

وكانت أم سلمة حينما مات زوجها كبيرة السن ، كثيرة الأولاد ، ولهذا لما خطبها أبو بكر وعمر بعد موت زوجها اعتذرت لكبر سنها وكثرة عيالها وغيرتها .

فرأى رسول الله أن يرعاها بنفسه جزاء لها على ما قدمت هي وزوجها للإسلام ، كما ترعى الدول المعاصرة أسر الشهداء بوسائل شتى من التكريم والتقديم والإيثار ، ورأى أن يواسيها وأن يتكفل بأبنائها وهو يرى حزنها شديداً على زوجها ، فقال لها : سلي الله أن

---

(١) الاستيعاب ١٩٢٠/٤، ١٩٣٩ والإصابة ٢٤/٨ وأسد الغابة ٥٨٨/٥.

يؤاجرك فى مصيبتك ، وأن يخلفك خيرا . فقالت : ومن يكون خيراً من أبى سلمة ؟

فتزوجها النبى ، لأنها تعلم أنه خير من أبى سلمة ، وكفلها ، وكفل أبناءها ، وزوّج إبنها . سلمة أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب التى كان يتنافس عليها على وجعفر وزيد . وأم سلمة هى التى قالت للنبى حينما خطبها : فىَّ خلالٌ ثلاث : أنا كبيرة السن ، وأنا امرأة مُعْيِلة ، وأنا امرأة شديدة الغيرة .

فقال لها : أنا أكبر منك سنا ، وأما العيال فإلى الله ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها عنك .

٦ - زينب بنت خزيمة من بنى عامر بن صعصعة[1] .

هى التى كانت تُدْعَى فى الجاهلية أم المساكين ، وكانت زوجة للطُّفَيْل بن الحارث بن المطلب الذى استشهد يوم بدر ، أو زوجة لعبد الله بن جحش الذى استشهد يوم أحد ، ولم تكن ذات جمال أو صبا ، فقد تجاوزت سن الشباب .

فلماذا تزوجها رسول الله ؟

إنه لم يتزوجها إلا رعاية لها ، وحدبا عليها ، وإشفاقا على أبنائها ، وتعويضاً عن فقد زوجها فى ميدان الجهاد ، وكان زواجه بها

(١) الاستيعاب ١٨٥٣/٤ والإصابة ٩٤/٨ وأسد الغابة ٤٦٦/٥ .

سنة ثلاث من الهجرة ، ولم تعش مع النبى إلا شهرين أو ثلاثة أشهر ، ثم توفيت .

٧ - جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضِرار الخزاعية[١] .

كان أبوها سيد بنى المُصْطَلِق ، وقد جمع جموعاً كثيرة لمحاربة رسول الله ، فلما التقى الجمعان فى غزوة المُرَيْسِيع أو غزوة بنى المصطلق سنة خمس من الهجرة عرَض رسول الله عليهم الإسلام ، فأبوا ، فحاربهم وانتصر عليهم .

حينئذ وقعت جويرية -وكان اسمها بَرَّة وكانت زوجة لمسافح ابن صفوان المصطلقى - فى سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها على سبع أواق من ذهب ، فلم تجد معينا لها غير رسول الله ، فمضت إليه وقالت : يارسول الله أنا بنت الحارث بن أبى ضِرار سيد قومه ، وقد أصابنى من الأمر مالم يَخْفَ عليك ، فوقعت فى سهم ثابت ابن قيس ، فكاتبته على نفسى ، وجئت أستعينك .

فقال لها النبى : هل لك فى خير من ذلك ؟

قالت : وماهو يارسول الله ؟

قال : أقضى عنك كتابتك ، وأتزوجك .

قالت : نعم .

---

(١) الاستيعاب ١٨٠٤/٤ والإصابة ٤٣/٨ وأسد الغابة ٤١٩/٥ وسيرة ابن هاشم ٣٠٧/٣ وتاريخ الطبرى ٦٦/٣ .

قال : قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس ، وعلموا أن رسول الله تزوج بنت الحارث ، فقال بعضهم لبعض : لقد صاروا أصهار رسول الله ﷺ ، ولا يصح أن تبقى سباياهم فى ملكنا ، وأطلقوا ما فى أيديهم من سبايا بنى المصطلق .

لهذا قالت السيدة عائشة : لا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية .

وكان اسمها الأول برة فغيره النبى إلى جويرية .

فلم يلبث بنو المصطلق أن أسلموا وأن صاروا فى صفوف المدافعين عن الإسلام بعد أن كانوا فى صفوف المقوضين له .

ومعنى هذا أن زواج النبى بجويرية لم يكن إلا لخير الإسلام وقوة المسلمين والاستكثار من أنصار الدعوة .

٨ - أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب[١] .

اسمها رَمْلة ، أسلمت على الرغم من أبيها ، وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة ، لكن زوجها تنصر هنالك ، وأرادها أن تتابعه فأبت ، ففارقها ، ومات .

(١) الاستيعاب ٤ /١٩٢٩ ، ١٨٤٣ والإصابة ٨٤/٨ وأسد الغابة ٥٧٣/٥ وسيرة ابن هشام ٦/٤ .

فبم يكافىء النبى امرأة أسلمت على رغم من أبيهاوهو من ألد أعداء النبى وأقواهم ؟

بم يكافىء امرأة هاجرت من مكة إلى الحبشة فراراً بإسلامها مستهينة بما تلقى من آلام الغربة والمخاطر والحاجة للحفاظ على دينها ؟

بم يكافىء امرأة تنصر زوجها وهما فى الغربة ، وأرادها أن تتنصر مثله فرفضت ، ففارقها وتخلى عنها ؟

لم يجد النبى مكافأة لها ، وإعزازاً لشأنها ، وحماية لها ، خيرا من أن يتزوجها وهى بالحبشة سنة ست أو سبع ، ولينقذها من ضيق الغربة والوحدة والفقر ، ولعله يتألف قلب أبيها أحد زعماء الشرك وأعداء الإسلام الألداء .

ولم تقدم من الحبشة إلا عام الهدنة مع خالد بن سعيد ، فى العام السابع من الهجرة يوم فتح خيبر .

٩ — زينب بنت جحش بن رئاب ينتهى نسبها إلى أسد بن خزيمة[١] .

هى ابنة عمة رسول الله أميمة بنت عبد المطلب .

ولزواج النبى منها قصة ، خَلَّط فيها ذوو الغفلة تخليطاً يأباه الواقع ، وينفر منه الحق ، ثم جاء بعض خصوم الإسلام فتلقفوا هذا التخليط وضخموه ، محاولين أن يثيروا غباراً حول نزاهة رسول الله

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٩٨/٤ والاستيعاب ١٨٤٩/٤ والإصابة ٩٢/٨ وأسد الغابة ٤٦٣/٥ .

ﷺ ، كأنما يجهلون أن غبارهم لن يتجاوز أقدامهم التى أثارته ، فمن أين له أن يبلغ الجوزاء ؟

لقد دس المنافقون على زواج النبى من زينب أباطيل ، ومن عجب أن سجل بعض المسلمين هذه الأباطيل ، وكقولهم أن النبى جاء إلى بيت زيد بن حارثة زوج زينب ، فلم يجده ، وعرضت عليه زينب أن يدخل فأبى ، وانصرف راجعاً يقول كلاماً لم تفهم منه زينب سوى قوله : سبحان الله العظيم ، سبحان مُصَرِّف القلوب .

فلما عاد زيد أخبرته بما كان ، فمشى إلى رسول الله فقال له : بلغنى يارسول الله أنك جئت منزلى ، فهلا دخلت لعل زينب أعجبتك فأفارقها ؟

فقال له النبى : أَمْسِكْ عليك زوجك ، واتق الله .

لكن زيدا عجز عن إمساكها ، فطلقها ، فتزوجها النبى بعد أن استوفت عدتها .

وخبر آخر من أخبار القصاص أن النبى أتى بيت زيد ، فرأى زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبا ، فلما نظر إليها قال : سبحان خالق النور ، تبارك الله أحسن الخالقين ، فرجع ، فلما جاء زيد أخبرته الخبر ، فقال لها : لعلك وقعت فى قلب رسول الله ، فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك ؟

فقالت : أخشى أن تطلقنى ولا يتزوجنى .

فجاء زيد إلى رسول الله ، فقال له : أريد أن أطلق زينب ، فأجابه بقوله : أمسك عليك زوجك واتق الله .

وهذا الخبر وأمثاله مما يجب صيانة النبى عنه[١] .

أما الحقائق التى تبطل هذه الترهات وتنقضها فهى :

(أ) أن زيد بن حارثة الكلبى كان أصابه سباء فى الجاهلية ، فاشترته السيدة خديجة بنت خويلد ، ووهبته لرسول الله ﷺ ، فتبناه بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين .

(ب) ثم علم أبوه حارثة مكانه ، فخرج لفدائه ، ولقى النبى ﷺ ، فقال النبى : نخيره ، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحدا .

وعرف زيد أباه وعمه ، ولكنه اختار البقاء مع رسول الله . فلما رأى رسول الله ما فعله زيد خرج به إلى الحِجْر فأشهد الناس أن زيداً ابنه يرث كل منهما الآخر . فطابت نفس حارثة ونفس أخيه ، وعُرف زيد بأنه ابن محمد ، حتى جاء الإسلام ونزل قوله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾[٢] .

فدُعى يومئذ زيد بن حارثة، ودعى الأدعياء إلى آبائهم[٣] .

---

(١) روح المعانى ٢٥/٢٢ الألوسى والكشاف للزمخشرى ٢٣٧/٣ .

(٢) سورة : الأحزاب ٥ .

(٣) الاستيعاب ٥٤٢/٢ .

(جـ) ثم علم النبى من الوحى — كما سيجىء — أن زيداً سيتزوج زينب ، ثم يطلقها ، ثم يتزوجها النبى بعده ، لإبطال ما تعارف عليه العرب من تحريم زوجة المتبَنَّى . فخطب لزيد زينب ابنة عمته ، فأبت ، وأبى أخوها عبد الله ، لأنها شريفة حسيبة وزيد عبد حرره النبى ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخِيَرةُ من أمرهم ، ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد ضَلَّ ضلالا مبينا ﴾[1] .

فلم تجد زينب وأخوها بُدًّا من الخضوع لما قضاه الله ورسوله ، فزوجها رسول الله من زيد ، ودفع هو مهرها نيابة عن زيد ستين درهما وخِمارا وملحفة ودرعا وإزارا ، وخمسين مُدًّا من طعام ، وثلاثين صاعا من تمر .

(د) لكن زينب لم تستطع أن تنسلخ من زهوها بشرف نسبها ، فكانت تتعالى على زوجها زيد ، وتفخر عليه ، وتجفوه ، وتسمعه ما يؤذيه ، حتى أنها كما قالوا تمنعت عليه أن يلامسها كما يلامس الزوج زوجته ، فجاء يوماً إلى رسول الله فقال : يارسول الله ، إن زينب قد اشتد علىَّ لسانها ، فأريد أن أطلقها ، فقال له رسول الله : أمسك عليك زوجك ، واتق الله فى أمرها ، ولا تطلقها .

(هـ) وقد كان النبى يعلم من الوحى أن زيدا سيطلق زينب ، وأنه

---

(١) سورة : الأحزاب ٣٦ .

سيتزوجها من بعده ، لأن هذا الزواج تشريع إلهى حكيم يبطل ما يجرى عليه العرب من تحريم زوجة المتبنى كما يحرمون زوجة الإبن .

وكان زواج النبى من زينب سنة خمس هو القدوة العملية التى يُحِلُّ ما حرموه على أنفسهم مما لا حرمة فيه .

ولم يكن أحد غير النبى يصلح لأن يبطل بعمله نظاما شائعاً أخذوا أنفسهم به ، إذ اعتقدوا أجيالا متعاقبة أن زوجة الإبن المتبنَّى تَحْرُم على متبنيه كما تَحْرُم زوجة الإبن الحقيقى ، وجروا على هذه العقيدة ونفذوها ، فاقتضى إبطالها عملاً إيجابياً يبلغ من القوة والشهرة إلى المكانة التى تكفل القضاء على عقيدة سابقة ، وتفتح عيون الناس وقلوبهم إلى هذا التشريع الجديد .

فلم يكن بد من أن ينزل القرآن الكريم بإبطال عقيدة العرب ، وبمطالبة النبى أن يتولى بنفسه وبعمله تحقيق إبطالها .

وقد يقال : لماذا لم ينزل القرآن الكريم بإبطال عقيدتهم بغير أن يكلف النبى أن يتولى هذا الإبطال بنفسه ؟

والجواب على هذا أن العقيدة لخطورتها وشيوعها واستقرارها ما كان يقدر على إبطالها إلا تشريع عملى يُكَلَّف بتنفيذه المبلغ للشريعة والمطبق لها والحارس عليها والقدوة المثلى ، وهو النبى عليه الصلاة والسلام .

لكن النبى لم يَبُحْ بما علمه من الوحى لزيد ولا لغير زيد ، خشية من أقاويل الناس ، وحياء من قولهم أن محمداً تزوج امرأة ابنه .

لهذا عاتب الله نبيه على أن أخفى فى نفسه ما علمه من الوحى ، وخشى الناس ، لأن الله تعالى هو الحقيق بأن يخشاه فى كل شأن من شئونه ، فيفعل كل ماأباحه له ، وأذن له فى عمله ، وكان الأولى به حينما شكا إليه زيد أن يصمت أو أن يفوض الأمر إليه فى شأن زينب .

وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه ، وأنعمت عليه ، أمسك عليك زوجك ، واتق الله ، وتُخْفِى فى نفسك ما الله مُبديه ،وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطَرا زوجناكها ، لكى لا يكون على المؤمنين حَرَجٌ فى أزواجِ أدعيائهم إذا قضوا منهن وطَرا ، وكان أمر الله مفعولا ﴾[1] .

ثم جاء بعد العتاب تقرير حقيقة هى أنه لا لوم على النبى فى أن يفعل ماأمره الله به ، لأن هذا هو الطريق الذى أمر أنبياءه السابقين أن يسلكوه ، وأمر الله نافذ لا معقب له .

وجاء بعد هذا التقرير عتاب آخر ضمنى فى ذكره تعالى أن الأنبياء السابقين الذين سلكوا الطريق الإلهى المرسوم كانوا يبلغون رسالات الله ويخشونه وحده ، ولا يأبهون بأحد من الناس ، فلم يكن

(١) سورة : الأحزاب ٣٧ أنعم الله عليه : المراد بالإسلام . أنعمت عليه : بالعتق والرعاية والتبنى . تخفى فى نفسك ماالله مبديه : تكتم ما أوحى إليك من طلاقها وزواجك بها . حرج : ضيق وحرمة . أدعيائهم : أولادهم من التبنى .

عليهم حرج فى الإقدام على ما أباحه لهم ووسع عليهم فيه من زواج وغير زواج ، وقد كانت لهم زوجات مهائر وزوجات سرارى .

قال تعالى : ﴿ ما كان على النبى من حَرَج فيما فَرَض الله له ، سُنَّةَ الله فى الذين خَلَوْا من قَبْلُ ، وكان أمر الله قَدَراً مقدورا . الذين يُبَلِّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيبا ﴾[1] .

وبهذا التشريع العملى التطبيقى الناجز الذى احتمل رسول الله ثقله حسم القرآن الكريم العلاقة بين المتبنِّى ومتبنَّاه ، والصلة بين المتبنِّى وزوجة متبناه ، فبيَّن أن الابن من التبنى ليس ولدا لمن تبناه وإن جرى عرف العرب على نسبه إليه .

وأراد القرآن الكريم أن يثبت بطلان ما تعارف عليه العرب فضرب لهم مثالين محسوسين ، أولهما أنه تعالى لم يخلق فى جسد واحد قلبين ، وثانيهما أنه لم يجعل المرأة الواحدة أماً لرجل وزوجة له ، وإن حرم هو زوجته على نفسه بقوله أنت علىَّ كظهر أمى .

كذلك لا يكون إنسان ابناً لرجلين ، أحدهما والده الحقيقى ، والآخر الذى تبناه ، وإنما يكون ابناً لرجل واحد هو الذى نَسَله ، وهو الذى يجب أن ينسب إليه .

---

(١) سورة : الأحزاب ٣٨ — ٣٩ حسيبا : كافياً من المخاوف فهو الجدير بالخشية منه . فرض الله له : أوجب له وقسم .

وقد ترتب على هذا أن المتبنَّى لا يرث شيئاً من مال الرجل الذى تبناه ، وأن زوجة المتبنَّى لا تحرم على متبنيه ، قال تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفوراً رحيما ﴾[١] .

وإذا كان زيد بن حارثة قد عرف فترة بأنه ابن محمد ، فإن هذه المعرفة لا تغير من حقيقة نسبه الأصيل الذى يجب أن يكون ، لأن أباه هو حارثة بن زيد ، قال تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكنْ رسولَ الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شىء عليما ﴾[٢] .

(و) على أن زواج رسول الله من زينب لم يخل من مكافأة لها على خضوعها لأمر الله ورسوله وقبولها الزواج من زيد العبد العتيق وهى حسيبة أباً وأماً فى مجتمع يقدر الحسب والنسب إلى حد المغالاة .

(ز) ولقد كان على المرجفين والمصدقين لأباطيل القصة أن يسائلوا

(١) سورة : الأحزاب ٤ — ٥ .

(٢) سورة : الأحزاب ٤٠ .

أنفسهم هذه الأسئلة : هل كان النبى يجهل زينب ، أو يخفى عليه جمالها ، وهى بنت عمته ، وهو الذى خطبها لزيد ، بل هو الذى أجبرها على الرضا بزيد ؟

ولماذا زوج زيداً من زينب ولم يتزوجها هو ، مع أنه لو شاء ذلك لكان يسيراً عليه أيما يسر ؟

وأيهما أولى بمكانته أن يتزوج بنت عمته ابتداء وهى بكر ، أم أن يخلف عليها مولاه الذى أعتقه ؟

وهل من المعقول أن يتحرج النبى من هذا الزواج الذى أوحى به الله إليه فلا يذيع خبره خشية من الناس ، فى الوقت الذى لا يتحرج أن يقول الناس فيه أنه أعجب بجمال زوجة مولاه فخلفه عليها ؟

ومتى كان النبى وهو الذى يحمل أعباء الرسالة العظمى خلىَّ البال ليأسره جمال النساء ؟

(حـ) فلم يبق منفذ لأية شبهة فى هذا الزواج الذى كان بأمر من الله تعالى ، ليحل للنساء ما حرموه على أنفسهم ، وليشرع لهم قانوناً جديداً يلغى ما وضعوه .

وأن الآيات القرآنية الكريمة لتنطق بالخبر كله فى جلاء ، وتكشف عن الغرض من هذا الزواج كشفاً ينقض ما حاكه القصاص وذوو الغفلة ، ثم ضخمه أعداء الإسلام .

□○□○□

١٠ — صفية بنت حُيَيّ بن أخطب سيد بنى النضير[١] .

يهودية تزوجها اثنان يهوديان أولهما سلام بن مِشْكم ، وثانيهما كنانة بن الربيع بن أبى الحَقيق .

وقد وقعت فى السبايا فى غزوة خيبر سنة سبع ، فطلب دَحْية الكلبى من رسول الله جارية من السبايا ، فقال له : اذهب فخذ جارية ، فأخذ صفية .

حينئذ جاء الصحابة إلى رسول الله فقالوا : يارسول الله إنها بنت سيد بنى قريظة وبنى النضير ، فما تصلح إلا لك .

فقال النبى لدحية : خذ جارية من السبايا غيرها .

وخيرها رسول الله بين أن يعيدها إلى قومها ، وأن يعتقها ويتزوجها ، فاختارت الزواج منه .

وكانت قد رأت فى المنام وهى زوجة لكنانة أن قمراً وقع فى حجرها ، فقصت رؤياها على كنانة ، فقال لها : لا تأويل لهذا إلا أنك تتمنين الزواج من ملك الحجاز محمد ، ولطم وجهها لطمة خَضَّرَتْ عينيها ، فلما جاؤا بها إلى رسول الله رأى الأثر بعينيها ، فسألها ما هو ، فأخبرته هذا الخبر .

فأى حرج على النبى فى أن يؤوى إلى حماه سَبِيًّا هى بنت سيد قومه؟

---

(١) الاستيعاب ١٨٧١/٤ والإصابة ١٢٦/٨ وأسد الغابة ٤٩٠/٥ وسيرة ابن هشام ٣٥٠/٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ .

إنها لو صارت إلى سواه لبقيت طيلة حياتها تشعر بالمرارة والخزى وهبوط المكانة ، ويكفى للدلالة على هذا أن النبى دخل عليها يوماً وهى تبكى ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : بلغنى أن عائشة وحفصة تنالان منى ، وتقولان : نحن خير من صفية ، لأننا بنات عم رسول الله وأزواجه ، فقال لها : ألا قلت لهن : كيف تكنَّ خير منى ، وأبى هارون ، وعمى موسى ، وزوجى محمد ؟

وأى حرج على النبى فى أن يتزوج امرأة سبية خيرها بين أن يعتقها ويردها إلى قومها وأن تكون زوجة له ، فآثرت أن تكون له زوجة ؟

وقد كانت مشهورة بالحكمة والعقل والفضل .

١١ - ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية[١] .

لهذه السيدة صلات بكثير من أشراف العرب ، وذلك أن لها أخوات شقيقات هن : أم الفضل لُبابة الكبرى زوجة العباس بن عبد المطلب عم النبى ، ولُبابة الصغرى زوجة الوليد بن المغيرة أم خالد ابن الوليد ، وعَصْماء زوجة أبىّ بن خَلَف الجُمَحِى ، وعَزَّة زوجة زيادة بن عبد الله الهلالى .

ولها أخوات لأمها ، هما : أسماء بنت عُمَيْس زوجة جعفر

---

(١) الاستيعاب ٤/١٩١٥ والإصابة ٨/١٩٢ وأسد الغابة ٥/٥٥٠ .

ابن أبى طالب ، وسلمى بنت عُمَيْس زوجة حمزة بن عبد المطلب ، وسلامة بنت عميس زوجة عبد الملك بن كعب بن مُنَبِّه الخثعمى .

فما السبب فى زواج رسول الله بها ؟

مات زوجها الثانى ، فلقى العباس بن عبد المطلب النبى عليه الصلاة والسلام وهو يعتمر عمرة القضاء ، وقال له : يارسول الله تأيَّمَتْ ميمونة بنت الحارث ، فهل لك فى أن تتزوجها ؟ فقبل رسول الله .

وفى خبر آخر أنه لما فرغ النبى من خيبر وتوجه إلى مكة — معتمراً سنة سبع ، وقدم عليه جعفر بن أبى طالب من الحبشة خطب له جعفر ميمونة بنت الحارث ، فأجابت ، وجعلت أمرها إلى العباس ، فزوجها النبى ﷺ .

ولابد أن نلاحظ فى هذا الزواج عدة ملابسات :

(أ) أن إحدى شقيقاتها زوجة للعباس عم النبى ، وأن إحدى أخواتها لأمها زوجة لجعفر بن أبى طالب ، وأخرى زوجة لحمزة عم النبى ، والعباس وجعفر وحمزة من أقرب الأقارب إلى رسول الله ، ومن أحبهم إليه ، ومن أعظمهم ولاء له وللإسلام .

(ب) أن العباس عم النبى وجعفر ابن عمه قد عرضاها على النبى عرضاً صريحاً ، يبتغيان تشريفها وتشريف نفسيهما ، وكرم النبى وحبه ووفاؤه لصحبه تأبى أن يرفض هذا العرض .

(جـ) أن أخواتها الشقيقات وغير الشقيقات زوجات لسادة أشراف ، من الخير للإسلام أن يظاهروه بسبب هذه المصاهرة .

(د) أنه لم يكن فى هذه السيدة ما يغرى ، لأنها امرأة ثيب تزوجت مرتين .

(هـ) وأنها هى التى وهبت نفسها للنبى ، وفيها نزل قوله تعالى : ﴿ ياأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ، وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة إن وهَبَتْ نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها ، خالصة لك من دون المؤمنين ﴾[1] .

فلم يكن كرم أخلاقه ليتغاضى عن رغبة حبيبيه عمه العباس وابن عمه جعفر ، ولا ليبخس امرأة وهبت نفسها له ، ولا ليسد الطريق أمام أمل فى تقوية الإسلام والمسلمين ، فتزوجها وكان اسمها برة فسماها ميمونة .

١٢ – مارية القبطية[2] .

بعث النبى حاطب بن أبى بَلْتَعة بكتاب إلى المقوقس حاكم

---

(١) سورة : الأحزاب ٥٠ .

(٢) الاستيعاب ١٩١٢/٤ والإصابة ١٨٥/٨ وأسد الغابة ٥٤٢/٥ وتاريخ الطبرى ٨٥/٣ .

الاسكندرية ومصر سنة ست للهجرة يدعوه إلى الإسلام ، فتلقى الرسول والكتاب لقاء حسنا ، وبعث إلى النبى عليه الصلاة والسلام هدايا منها مارية القبطية للنبى خاصة ، ومعها أختها سيرين وخَصِىّ يقال له المأبور ، وقيل أنه بعث معها أربع جوار .

فوهب رسول الله سيرين لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن ، وتزوج النبى مارية فولدت له ابنه إبراهيم .

فما الذى كان ينتظر غير ذلك ؟

هل كان يليق بالنبى أن يرد مارية وهى مهداة إليه باسمه ؟ إن المقوقس تلقى كتاب النبى ورسوله بالحسنى ، وزاد على هذا أنه أهدى هدايا ، فلا مندوحة من قبولها فى ظرف يسعى فيه النبى إلى نشر الدين ، وافتتاح الميادين ، واجتذاب القلوب وكثرة الأنصار .

وهل كان من السلوك الحميد أن يهبها لغيره وقد أرسلها المقوقس إليه خاصة ؟

لو أنه فعل ذلك لأساء إلى المقوقس وإلى مارية ، لأن عمله هذا رفض للهبة أو ترفع عن قبولها وإباء .

فلم يبق إلا أن يتزوجها ، مرضاة للمقوقس ، وإرضاء لها ، وتطبيقاً عملياً لاستحلال الزواج بالكتابيات ، وفى هذا كله نفع للإسلام ، وتعريف له .

□○□○□

النتـــائج

أما بعد ....

فما النتائج العامة التى أثمرتها هذه الدراسة ؟

لقد أثمرت عدة نتائج ، هى :

(الأولى)

أن زواج رسول الله ﷺ كان للدين لا للدنيا ، وكان للحكمة لا للهوى ، ولتوطيد الدعوة ونشرها وتقويتها لا للمتعة والاستظراف والاستكثار .

فقد ابتغى من زواجه بالسيدة خديجة ما يبتغيه كل أنسان ، وما ابتغاه كل رسول من قبل : أن يكون له بيت وزوجة وأبناء .

ثم ابتغى من الزواج بعد وفاتها الخير للإسلام وللمسلمين .

وذلك أنه كان يعمد حينا إلى أن يزيد القريب إلى قلبه قرابة ، وأن يضيف إلى حبيبه محبة ، وإلى أليفه ألفة ، وإلى المخلص لله ورسوله إخلاصا .

وكان يتوخى تارة أن يستكثر من الأصهار ليناصروه وليؤازروا دين الله ، فى مجتمع يَعْتَدُّ المصاهرة صلة حميمة تستوجب النصرة والوفاء .

وكان يقصد مرة إلى أن يفسح المجال أمام المسلمين الغالبين

ليطلقوا الأسرى والسبايا من قبيلة عظيمة مهزومة ، من الخير للإسلام والمسلمين أن يرضوها لتسلم وتظاهر الإسلام .

وكان يريد مرة أن يكرم امرأة مسنة لا أرب للرجال فيها ، وهبت نفسها له ، فيضمها إلى زوجاته تشريفاً لها كما أرادت ..

وكان يبتغي تارة أن يكرم قوماً أرادوا أن يشرفوا بمصاهرته ، ولهذا حزن عمر بن الخطاب أشد الحزن لما قيل له إن النبى طلق حفصة ، ولم ينفرج كربه إلا لما علم الحقيقة .

كذلك ود على بن أبى طالب — وهو ابن عمه وربيبه وزوج ابنته السيدة فاطمة — أن يزوجه اخته أم هانىء بنت أبى طالب ، لكنها خشيت أن تقصر فى القيام بما يجب له من حقوق ، لأنها ذات أبناء يشغلونها عن واجبات الزوجية .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يريد حينا أن تخفف المصاهرة من حدة العدو وحنقه لعله يرعوى أو يزدجر .

وكان يقصد حينا إلى المواساة والتعويض وإلى التشجيع على الجهاد الباسل ، فيزوج الأيِّم التى فقدت زوجها وعائلها فى الدفاع عن الإسلام ، لأن فى زواجه بها خيراً لها ولبنيها ، وفيه اطمئنان المجاهدين على مصير زوجاتهم وأبنائهم ، لأن النبى والمسلمين سيرعونهم إذا استشهد عائلوهم ، وما من شك فى أن هذا الاطمئنان يدفعهم إلى الجهاد والاستشهادُ أعز فى نفوسهم من الحياة .

وكان حينا يتقبل الكتابية التى بعثها إليه كتابى حاكم ذو سلطان ، للتشريع من ناحية ، وللتمهيد لنشر الدعوة من ناحية ، وللتدليل على سماحة الإسلام ، فللزوجة الكتابية أن تسلم أو تبقى على دينها .

(الثانية)

وقد اتضح من تفصيل زواجه ﷺ أنه لم يتزوج بعد أن توفيت السيدة خديجة إلا وهو فى أول العقد السادس ، وهذه سن لا تواتى التكلف بالنساء ، ولا الشغف باللذات الجسدية ، واتضح أنه لم يتزوج إلا بعد أن مضت على وفاتها ثلاث سنوات .

(الثالثة)

وتبين أن زوجاته جميعاً — ما عدا السيدة عائشة — ثيبات وأن أكثرهن مسنات .

فلماذا لم يتخيرهم كلهن أو لماذا لم يتخير بعضهن من الفتيات الأبكار الحسان ، وقد كان ذلك ميسوراً عليه أيما يسر لو أراده ؟

وأيهما أحظى عند الرجل الظمآن إلى النساء البكر أم الثيب ؟ والفتاة أم العجوز ؟

أليس الزواج بالثيبات وبالمسنات دليلاً قاطعاً على أن النبى ﷺ كان أبعد الناس عن الكلف بالاستمتاع الجسدى والظمأ الجنسى كما افترى خصومه وخصوم الإسلام ؟

(الرابعــــة)

وليس من شك فى أن زوجات رسول الله رَفَدْنَ الإسلام بكثير من الحقائق الوثيقة الصلة بالدين .

فمثلاً هن اللاتى أخبرن بسلوك النبى وبأعماله التى لم يرها غير زوجاته .

وهن اللاتى كن منابع التشريع المستنبط من أحوال نسوية لا يعرفها غير النساء ، ولا يعلمها إلا أزواجهن ، وبعضها يختلف من امرأة إلى أخرى .

وهن اللائى روين أحاديثه الشريفة التى قالها فى بيته ولم يسمعها غيرهن وصححن رواية بعضها التى سمعها غيرهن .

ولبعضهن آراء فى الفقه وفى أسباب نزول بعض الآيات القرآنية الكريمة .

ولا عجب فى هذا ، فقد كن حريصات أشد الحرص على الرواية عن رسول الله عملاً بقوله تعالى : ﴿ واذكرن ما يُتْلَى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيرا ﴾[1] ، وعملا بقوله ﷺ : « نَضَّـر الله عبدا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[2]

(١) سورة : الأحزاب ٣٤ .

(٢) الرسالة للشافعى ٤٠١ .

ولهذا روى الثقات مئات الأحاديث عنهن .

وحسبنا هذه اللمحة :

١ – مما يتصل بأعمال النبى :

كان عبد الله بن عمر يمنع المحرم أن يتطيب قبل إحرامه ، فلما بلغ السيدة عائشة قوله قالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، كنت طيَّب رسول الله ﷺ ، فيطوف على نسائه[١] ، ثم يصبح محرماً ينْضَحُ طِيبا .

وقالت : كأنى أنظر إلى وَبيص الطيب فى مفرق النبى ﷺ وهو محرم . وأخرج الشيخان عن القاسم عنها أنه قالت : طيبت رسول الله ﷺ لحَرَمه حين أحرم ، ولحله حين أحل قبل أن يطوف بالبيت ، وتابعها على ذلك ابن عباس[٢] .

وروى عنها : كنت أُرَجِّل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض[٣] .

وروى عنها أنه ﷺ كان يعجبه التيمن ما استطاع فى ترجله ووضوئه[٤] .

وكان أبو هريرة يقول ببطلان صوم الجُنُب إذا أصبح بغير

---

(١) يطوف عليهن : يزورهن .

(٢) صحيح البخارى ١٩١/١ والإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشى ١١٤ وبيص : لمعان .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤٩٠/١٢ .

(٤) فتح البارى ٤٩٠/١٢ .

وكان أبو هريرة يقول ببطلان صوم الجُنُب إذا أصبح بغير طهر ، ثم عدل عن قوله لما بلغه حديث السيدة عائشة أن النبى ﷺ كان يصبح جُنُبا ثم يصوم(١) .

وكان عبد الله بن عمر يقول أن القُبلة توجب الوضوء ، فاستدركت عليه السيدة عائشة بقولها : كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ، ثم لا يتوضأ(٢) .

وقالت : كان رسول الله ﷺ يقبل إحدى نسائه وهو صائم ، وأيكم يملك إرْبَه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه(٣) .

وذكرت السيدة زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ فى مُخَضَّب من صُفْر(٤) .

وذكرت السيدة حفصة بنت عمر أنها مارأت النبى ﷺ يصلى جالساً حتى كان قبل وفاته لعام أو عامين(٥) .

وقالت : كان رسول الله ﷺ يصلى ركعتين خفيفتين إذا بدا الفجر(٦) .

---

(١) الإجابة ١٢٤ .
(٢) الإجابة ١١٠ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢١٦/٧ اربه : عقله ودينه وحاجته .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣٢٤/٦ . مخضب من صفر : وعاء ملون من نحاس .
(٥) المسند ٤٨٥/٦ .
(٦) المسند ٢٨٤/٦ .

وسئلت السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان : أكان رسول الله يصلى فى الثوب الذى ينام معك فيه ؟ قالت : نعم ما لم ير فيه أذى[١] .

ولما ذكر عبد الله بن عمر أن رسول الله اعتمر أربع مرات إحداهن فى رجب ، قال عروة بن الزبير للسيدة عائشة : ألا تسمعين يا أم المؤمنين إلى ما يقول أبو عبد الرحمن ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر فى رجب قط .

وعلق ابن الجوزى بقوله : سكوت ابن عمر لا يخلو من حالين : إما أن يكون قد شك فسكت ، وإما أن يكون ذكر بعد النسيان ، فرجع بسكوته إلى قول عائشة ، وعائشة قد ضبطت هذا ضبطاً جيداً ، وقال أنس : اعتمر رسول الله أربع عمرات كلها فى ذى القعدة[٢] .

٢ – مما يتصل بأحوال النساء :

بلغ السيدة عائشة أن عبد الله بن عمرو بن العاص يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤسهن فقالت : يا عجبا لابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينتقضن رؤسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤسهن ؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، وما أزيد أن أفرغ على رأسى ثلاث إفراغات .

---

(١) المسند ٣٢٥/٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣٧/٨ والإجابة ١٢٩ .

ورواه النسائى ، وفيه أنها قالت : وما أنقض لى شعرا ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه أتم من ذلك .

وروى مسلم فى صحيحه عن أم سلمة أنها لما سألت النبى هل تنقض ضفائرها لغسل الجنابة قال لها : إنما يكفيكى أن تَحْثِى على رأسك ثلاث حثيات ، ثم تفيضى عليك الماء ، فتطهرين[١] .

وذكرت أم سَلَمَة أن أم سُلَيْم امرأة أبى طلحة جاءت إلى رسول الله فقالت : يارسول الله إن الله لا يستحيى من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت ؟ فقال رسول الله : نعم إذا رأت الماء[٢] .

وقالت السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية : كانت إحدانا تبسط لرسول الله ﷺ الخُمْرة وهى حائض ثم يصلى عليها[٣] .

وكان عبد الله بن عباس يرى أن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها تنتهى بأبعد الأجلين ولكن أبا سلمة وأبا هريرة رأيا أنها تنتهى بالوضع ، فأرسلوا إلى أم سلمة زوجة النبى ﷺ فقالت : قد وضعت سُبَيْعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بيسير ، فاستفتت رسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج[٤] .

وقالت السيدة عائشة : خرجت مع رسول الله ﷺ للحج ،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢٨٩/٦ والإجابة ١٣٤ .

(٢) صحيح البخارى ١٩٩/١ .

(٣) المسند ٣٣١/٦ الخمرة : حصيرة صغيرة من سعف .

(٤) سنن الترمذى ١٧٠/٥ .

فجاءنى الطَّمْث ، فبكيت ، فقال لى : افعلى ما يفعله الحاج ، غير ألا تطوفى بالبيت حتى تطهرى[١] .

وذكرت أن أسماء بنت يزيد الأنصارية جاءت إلى رسول الله فقالت : كيف أغتسل من الحيض ؟ قال : خذى فِرْصه ممسَّكة فتوضئى ، فكانت تعيد سؤالها ، فكرر ذلك ثلاثاً ، وهو فى كل مرة يقول سبحان الله ، فاستحيا وأعرض بوجهه ، فأخذتها فجذبتها وعرفتها ما يريد[٢] .

٣ – مما يتصل برواية الحديث :

أما رواية أمهات المؤمنين للأحاديث النبوية فإنها ليست فى حاجة إلى بيان ، لأن الكتب الصحاح حافلة بالأحاديث التى رويت عنهن .

فمثلا قالت السيدة عائشة : قال النبى ﷺ : إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها بما كسب ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا[٣] .

وأخبرت السيدة صفية أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره وهو معتكف فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضان ، ثم قامت ، فقام معها رسول الله ، حتى إذا بلغ قريباً من باب المسجد عند باب

---

(١) صحيح البخارى ٢١٢/١ .

(٢) صحيح البخارى ٢١٧/١ فرصة ممسكة : قطعة قطن عليها مسك .

(٣) صحيح البخارى ١٦/٤ .

أم سلمة زوج النبى ﷺ مر بهما رجلان من الأنصار ، فسلما على رسول الله ، ثم نفذا ، فقال لهما : على رِسْلكما ، قالا : سبحان الله يارسول الله ، وكبر عليهما ذلك ، فقال : إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وأنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا(١) .

وقالت السيدة حفصة : لما أمر رسولَ الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمرة قلن : فما يمنعك يارسول الله أن تحل معنا ؟ قال : إنى قد أهديت ولَبَّدْت فلاأحل حتى أنحر هَدْيِى(٢) .

وروت السيدة أم سلمة أن رسول الله قال : إنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضكم أن يكون أَلْحَنَ بحجته من بعض ، وإنما أنا بشر أقضى له على نحو ماأسمع منه ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فإنما هو نار ، فلا يأخذه(٣) .

وروت السيدة أم حبيبة قوله عليه الصلاة والسلام : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة كما يتوضأون(٤) .

وروت السيدة سَوْدة بنت زَمْعة أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ . فقال : إن أبى شيخ كبير لا يستطيع أن يحج ، قال رسول الله : أرأيت

(١) صحيح البخارى ٢٠٤/٥ ومسند أحمد بن حنبل ٣٣٧/٦ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢٨٥/٦ التلبيد : أن يجعل المحرم فى رأسه شيئا من صمغ ليتلبد شعره .

(٣) صحيح البخارى ٣٨٥/٤ ومسند أحمد بن حنبل ٢٩٠/٦ .

(٤) مسند ابن حنبل ٣٢٥/٦ .

لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قُبل منك ؟ قال الرجل : نعم ، قال رسول الله : فالله أرحم ، حج عن أبيك[١] .

وروى عن السيدة حفصة بنت عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا سكت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة[٢] .

واستفتت السيدة ميمونة رسول الله ﷺ فى فأرة سقطت في سمن جامدلهم ، فقال : ألقوها وما حولها وكلو سمنكم[٣] .

٤ - مما يتصل بتصحيح الرواية :

روى الترمذى عن أبى ذر أن النبى ﷺ قال : إذا صلى الرجل وليس بين يديه كآخرة الرحل أو كواسطة الرحل قطع صلاته الكلب والمرأة والحمار .

وسلم بظاهر هذا بعض الصحابة كعبد الله بن عمر ، ولم يسلم به آخرون .

لكن السيدة عائشة أنكرت أن يقطع واحد من الثلاثة صلاة المصلى ، وغضبت بين التسوية بين المرأة والكلب والحمار فقالت : أعدلتمونا بالكلب والحمار ؟ لقد رأيتنى مضطجعة على السرير ، فيجىء

---

(١) أسد الغابة ٤٨٥/٥ .

(٢) أسد الغابة ٤٢٦/٥ .

(٣) المسند ٣٣٠/٦ .

النبى ﷺ فيتوسط السرير فيصلى ، فأكره أن أُسَنِّحه فأنسلّ من قِبَل رِجْلَىْ السرير حتى أنسل من لحافى ، ووافقها عبد الله بن عباس فيما ذهبت إليه .

وهذا دليل على أنها لم تكن تعتقد أن رسول الله قال هذا ، لأنها لو اعتقدت أنه قاله ما أنكرته[1] .

كذلك روى عن أبى هريرة وعن أسماء بنت أبى بكر وعن عبد الله بن عمر وعن عائشة أن النبى ﷺ قال : لعن الله الواصلة والمستوصلة[2] .

وفهم كثير من الصحابة وغيرهم أن الواصلة هى المرأة التى تصل بشعرها شعراً آخر ، وأن المستوصلة هى التى تطلب من غيرها أن تفعل لها ذلك ، وقالوا أن معاوية بن أبى سفيان خطب عام حجه وقد تناول قصة من شعر كانت بيد حَرَسِىٍّ وقال : ما كنت أرى يفعل ذلك إلا اليهود ، أين علماؤكم ؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل ذلك[3] .

وعلق ابن حجر على الحديث ، وجاء فى تعليقه قوله أن كثيراً من الفقهاء رأوا أن الممتنع من ذلك وصل الشعر بالشعر ، أما إذا وصلت

---

(١) صحيح البخارى ٣٣٣/١ وسنن الترمذى بشرح ابن العربى ١٣٠/٢. والمحلى لابن حزم ٨/٤ والإجابة ١٦١ أسنحه : أستقبله فى صلاته منتصبة ببدنى .

(٢) فتح البارى ٤٩٠/١٢ وسنن النسائى بشرح السيوطى ١٤٥/٨ .

(٣) إرشاد السارى بشرح صحيح البخارى ٤٥٧/٨ .

المرأة شعرها بغير شعر من خرقة ونحوها فلا يدخل فى النهى ، وقد جاء فى حديث صحيح أنه لا بأس بالقرامل[١] ، وبه قال أحمد ابن حنبل ، والمراد به هنا خيوط من حرير أو صوف تعمل ضفائر تصل بها المرأة شعرها .

وذكر أن بعضهم فصل بين ما إذا كان وصل الشعر بغيره مستوراً بعد عقده مع الشعر بحيث يظن أنه من الشعر وبين ما إذا كان ظاهراً ، فمنع الأول قوم لما فيه من التدليس ، وأجازه آخرون مطلقاً سواء أكان بشعر أم بغير شعر إذا كان بعلم الزوج وبإذنه .

ولكن ابن حجر ذكر فى نهاية تعليقه أن السيدة عائشة رخصت فى وصل الشعر بالشعر ، وأنها فسرت الواصلة والمستوصلة بمعنى آخر ، فقالت الواصلة هى التى كانت بَغِيًّا فى شبابها فلما أسنت وصلت ذلك بالقيادة ، وأن عَقَّب على هذا بأن الطبرى أبطل حديثها هذا بما روى عنها فى رواية المنع[٢] .

ولعل الذى ذهبت إليه السيدة عائشة من إباحة وصل الشعر التى لا خداع فيها لخاطب ولا مضرة بأحد هو الذى يساير الأنوثة ويلائم التجمل المباح ، ولا ينافى سماحة الإسلام ، أما تفسيرها للواصلة والمستوصلة فهو الذى يتلائم واللعن ، ولهذا ذكر ابن قتيبة

---

(١) القرامل جمع قرمل على وزن جعفر وهو نبات طويل الفروع لين .

(٢) فتح البارى بشرح البخارى ٤٩٦/١٢ — ٤٩٩ .

أنه قالت : لا بأس على المرأة الزعراء أن تصل شعرها ، وليست الواصلة بالتى تعرفون — أى التى تصل شعرها بشعر آخر لتطيله — وإنما الواصلة أن تكون بَغيا فى شبيبتها فإذا أسنت وصلته بالقيادة[(١)] .

وعلمت السيدة عائشة أن عبد الله بن عمر يقول أن الشهر تسع وعشرون ، فأنكرت ذلك عليه وقالت : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، ما هكذا قال رسول الله ، ولكنه قال أن الشهر قد يكون تسعا وعشرين[(٢)] .

وقيل لها أن أبا هريرة يقول أن رسول الله ﷺ قال : الشؤم فى ثلاثة : فى الدار والمرأة والفرس ، فقالت : لم يحفظ أبو هريرة ، أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقول : قاتل الله اليهود يقولون الشؤم فى ثلاثة : الدار والمرأة والفرس ، فسمع آخر الحديث ، ولم يسمع أوله .

وروى أحمد فى مسنده أقرب من هذا ، وأضاف إليه أنها قرأت قوله تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نَبْرَأها إن ذلك على الله يسير ﴾[(٣)] .

قال بعض الأئمة رواية عائشة أشبه بالصواب لموافقتها نهى النبى ﷺ عن الطيرة نهياً عاماً[(٤)] .

---

(١) عيون الأخبار ١٠٢/٤ .
(٢) الإجـــابة ١٣٢ .
(٣) سورة : الحديد ٢٢ .
(٤) الإجـــابة ١٦٦ .

وروى عن النبى ﷺ قوله : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه – يهلكه – خير له من أن يمتلىء شعرا[١] .

وتكلف بعض الدارسين فى تأويلهم للحديث الشريف ، فذهب ابن رشيق مثلا إلى أن المراد من غلب الشعر على قلبه ، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدباً وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه ، وقد قال الشعر ، وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجلة من الصحابة والتابعين والفقهاء والمشهورين[٢] .

لكن الحديث كما روته السيدة عائشة له تكملة تعين المراد منه ، فهو : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلىء شعرا هُجيت به .

وقد تابعها فى هذه الرواية جابر بن عبد الله[٣] .

٥ – مما يتصـــل بالفقه :

ذهب أبو هريرة إلى أن الذى يغسل ميتا فعليه أن يغتسل ، والذى يحمله عليه أن يتوضأ .

فلما علمت السيدة عائشة بقوله قالت : أو نَجِسٌ موتى المسلمين ؟ وما على رجل لو حمل عودا .

(١) فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى ٣/٣١٢ .
(٢) العمدة لابن رشيق ١/١٢ وفتح المبدى ٣/٣١٢ .
(٣) الإجابة ١٣٦ .

قال البيهقى : الروايات المرفوعة فى هذا عن أبى هريرة غير قوية ، لجهالة بعض رواتها وضعف بعضهم ، والصحيح أنه موقوف على أبى هريرة[١] .

وكان عبد الله بن عباس لا يرى ما رآه أبو هريرة ويقول لا يلزمنا الوضوء فى حمل عيدان يابسة .

ورأت أن نكاح المتعة محرم ، واستدلت بقوله تعالى :﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾[٢] وقالت : من ابتغى ما وراء ما زوجه الله أو ملكه فقد عدا[٣] .

واختلف الصحابة والفقهاء فى لحم الحُمُر الأهلية أحلال أم حرام ؟

واستدل الذين ذهبوا إلى أنه حلال بأن السيدة عائشة احتجت بقوله تعالى : ﴿ قل لا أجد فى ما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به ﴾[٤] .

---

(١) الإجابة ١٣٥ .

(٢) سورة : المؤمنون ٥ - ٦ .

(٣) الإجابة ١٧٢ .

(٤) سورة : الأنعام ١٤٥ دماً مسفوحاً : دما يسيل عند الذبح . رجس : قذر . فسقا : سبب فسق أى خروج عن طاعة الله بذبحه لغير الله مثل التقرب إلى الأصنام .

فإن ظاهر الآية لا يحرم غير ما ذكر فيها .

وقد وافقها عبد الله بن عباس فى رأيها ، وخالفها غيره[١] .

ومن فقهها أنها رأت فى الهدى إذا عطب شىء منه قبل أن يبلغ محله أنه يجب نحره والتخلية بينه وبين الناس ، وألا يأكل منه صاحبه ، معتمدة على حديث بهذا المعنى ، ولكن إذا لم يوجد فقراء فى الطريق فهل يمتنع صاحب الهدى من أكله ويتركه للسباع أم يأكله هو ومن معه حذراً للإسراف .

٦ - ثم إنهن أدركن كثيراً من أسباب النزول وفهمن معانى الآيات الكريمة :

فمثلا فى قوله تعالى : ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾[٢] .

قالت السيدة عائشة : هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله -أى فى كفالته وولايته- فيعجبه مالها وجمالها ، فيريد أن يتزوجها بغير أن يسقط فى صداقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن[٣] .

---

(١) المحلى لابن حزم ٤٠٧/٧ .

(٢) سورة : النساء ٣ .

(٣) صحيح البخارى ٢٦٦/٤ .

وفى قوله تعالى ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ﴾[١] .

قالت السيدة عائشة أن الآية الكريمة نزلت فى الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها ، يريد أن يفارقها ، فيقول أجعلك من شأنى فى حل ، فنزلت هذه الآية فى ذلك[٢] .

والآن

أفما آن للخصوم أن يخجلوا من ترويج دعاوى تنقضها الوثائق ؟

أفما آن للمرجفين أن يكفوا عن أباطيل تهدمها الحقائق ؟ بلى . لقد تبين لهم الرشد ، واتضح الإنصاف ، وعلموا بطول تجاربهم وتجارب سابقيهم من أعداء الإسلام ونبى الإسلام أن الإسلام بحر خضم يبتلع المخاطرين الذين يتحدونه ، وأن نبى الإسلام حصن منيع كلما صوبوا إليه اتهاماً عجز وانحسر ، وكلما وجهوا إليه سهماً ارتد وانكسر ، وسيبقى الحصن منيعاً إلى أن ينفخ فى الصور .

□○□○□

(١) سورة : النساء ١٢٨ بعلها : زوجها . نشوزا : سوء معاملة أو تقتير فى النفقة .

(٢) صحيح البخارى ٤/٢٣٥ .

زى المرأة المسلمة

مما لا ريب فيه أن الإسلام دين قائم على تقدير العقل والعلم والمنطق والمرونة والسماحة ، لم يكره أحداً على اعتناقه ، ولم يضق بالتفهم والاجتهاد واختلاف الآراء .

وقد نص القرآن الكريم على أن الله تعالى أمر النبى عليه الصلاة والسلام أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونهاه أن يجادل هو أو أحد من المسلمين أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، ونفى عنه أن تكون له سيطرة على عقائد الناس .

فى ضوء هذا التشريع الحكيم أعرض مناقشتى لبعض ما جاء فى مقال الدكتور مصطفى محمود (الحلال والحرام)[1] متصلا بزى المرأة المعاصرة .

---

(١) نشر بمجلة منبر الإسلام فى غرة المحرم ١٣٨٠ ٩ مارس ١٩٧٠ .

(١)

جاء فى المقال : « الله حرم الضار الخبيث ، وأحل الطيب النافع » ، وعلى سبيل المثال نأخذ هذه الآية : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ و ﴿ قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » فلو أخذنا الآية بظاهر حروفها دون أن يكون جوهر القضية واضحاً فى الذهن فسوف نجد أن الحياة الطبيعية فى زمننا زمن المينى جيب والديكولتيه والجابونيز والصدر العريان والشعر المرسل والباروكات أمر صعب ، والسير فى شارع مثل عماد الدين سيراً مطابقاً لحروف الآية هو الممكن الصعب ...... ومجرد إرسال النظر لا ضرر منه ، ولكن الضرر فيما يجرى فى القلب والعقل نتيجة إمعان النظر الخبيث ..... وقد نرى وجهاً جميلاً فنهتف بالقلب إعجابا (الله) ونقصد الخالق الذى صور ، وليس المخلوق ، فلا تكون هذه النظرة حلالا فقط ، وإنما تكتب لنا حسنة .

والله أقام شريعته محبة ورحمة لا تسلطاً وغطرسة ، فإذا انتفى الضرر فأنت فى المنطقة الحلال ...... ولا يمكن أن تكون الفضيلة أمتاراً من القماش تزيد وتنقص ، ولا شك أن القرآن قد أوصى المرأة المؤمنة بأن تدنى عليها جلبابها ، وأن العرى ذنب ، ولكن الذنوب تتفاوت ، إن التعرى لشهوة هو الذنب ، أما اختيار زى لمجرد التوافق مع عرف عصرى فهو مما يغتفر ولو أصبح الكم القصير تقليداً يتبعه الناس انتهت الإثارة ، لأنها تصبح العادة المألوفة التى تعتادها العين .

وعلى البلاج يمكن أن يتمدد واحد بالمايوه وحوله تتخطر المايوهات ألوانا ، وهو سارح فى لون البحر وزرقة السماء ومتعة الطبيعة .

وهناك فارق بين تعر لشهوة وتعر للشمس والهواء والبحر ، واختلاف القلب فى الحالين يحدد مكاننا بين الذنب والبراءة .

(٢)

تلك فقرات من مقال الدكتور مصطفى محمود ، وأحب قبل أن أشرع فى المناقشة أن أسجل عدة أصول وثيقة العلاقة بالموضوع .

١ – أن الأصل فى العادات الحل والإباحة ، فلا يحرم منها إلا ما حرمه الشرع .

ومعنى هذا أن العادات وليدة العرف العام ، ولكن الشرع يهيمن عليها ، فيقر صالحها ، ويلغى طالحها ، ويهذب قسماً منها بالزيادة أو النقصان ، وليس للناس أن يحرموا من العادات إلا ما حرمه الله ، وإلا انطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ، فجعلتم منه حراماً وحلالا ، قل : ءآلله أذن لكم ، أم على الله تفترون ؟ ﴾[1] .

﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾[2] .

---

(١) سورة : يونس ٥٩ .
(٢) سورة : الأعراف ٣٢ .

كذلك ليس لهم أن يحلوا ما حرم الله .

٢ - ومن حكمة الإسلام إنه إذا حرم شيئاً حرم مايمهد له ، ويجر إليه ، ويغرى به ، لأن النفس قد تضعف ، فتستجيب للصيحة المغرية ، وقد تتدانى من المحرم تدانياً يوقعها فيه .

لهذا لم يقتصر وزر الحرام على مقترفه ، بل ينال نصيباً منه كل من شاركه فيه ، فشارب الخمر ملعون ، وملعون كذلك عاصرها وحاملها وبائعها .

وقد حرم الإسلام الزنا ، وحرم مايغرى به ، كخلوة الرجل الكاملة المريبة بالمرأة التى لايحرم زواجه بها ، حصانة للرجل وللمرأة ، وحفاظاً على سمعة الأسرة ، وإبقاء على ما بين الزوجين من سكن ومودة .

كذلك حرم الإسلام النظرة الجائعة ، لأنها شرك قد يسقط فى الشر ، وحرم التطلع إلى العورة ، لأنها تثير الغريزة ، وتذيب العزيمة ، وحرم التبرج والتكشف والتعرى وتعمد إبراز المفاتن ، لأن هذا كله ينافى الحياء والتصون والتعفف ، ويسول بالسوء ، ويستميل إليه .

٣ - والمحرم محرم وإن اتخذه فاعله وسيلة إلى غاية نبيلة ، لأن الإسلام كما يحرص على شرف القصد يحرص على شرف الوسيلة ، وليس فى الإسلام ما يفهم منه أن الغايات تسوغ الوسائل ، قال ﷺ « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا » ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به

المرسلين فقال : ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحا ، إني بما تعملون عليم ﴾(١) ، وقال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾(٢) ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر –للحج أو العمرة– يمد يديه إلى السماء يقول : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنَّى يستجاب له ؟ » وقال ﷺ : « من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر ، وكان إصره عليه » .

٤ – وكل ما حرمه الإسلام عام التحريم على المسلمين جميعاً ، رجالهم ونسائهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وعالمهم وجاهلهم ، قال ﷺ : « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

٥ – لكن الإسلام مرن سمح يسع الناس جميعاً ، ويتسع لحالاتهم جميعاً ، فلا عسر ولا إعنات ، قال تعالى : ﴿ مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم ، لعلكم تشكرون ﴾(٣) .

□○□○□

---

(١) سورة : المؤمنون ٥١ .
(٢) سورة : البقرة ١٧٢ .
(٣) سورة : المائدة ٦ .

(٣)

ننتقل من هذا التعميم إلى التخصيص ، لنتعرف حكم الدين فى أزياء النسوة المعاصرات ، وفيما ذكره الدكتور مصطفى محمود .

ولنحتكم أولاً إلى القرآن الكريم .

يقول تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾[1] .

ويقول سبحانه : ﴿ يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾[2] .

---

(١) سورة : النور ٣٠ — ٣١ .

(٢) سورة : الأحزاب ٣٢ ، ٣٣

ويقول تعالى : ﴿ ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيما ﴾[1] .

ويقول جل وعلا : ﴿ والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ﴾[2] .

فماذا نفهم من هذه الآيات ؟

١ — أن المسلمة لا تكشف عن زينتها إلا لهؤلاء الذين ذكرهم القرآن الكريم ، لأنها محارم أو فى حكم المحارم ، والمراد بالزينة محاسن الجسد التى لا يباح للمرأة أن تطلع أحداً عليها ، إلا ما كان الأصل فيه أن يظهر كالوجه والكفين والقدمين .

قال القرطبى : لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة فى الصلاة والحج صلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما ، ويدل على ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها وقال لها : ياأسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه .

---

(١) سورة : الأحزاب ٥٩ .

(٢) سورة : النور ٦٠ .

٢ - على المسلمة أن تستر بخمارها رأسها ونحرها وعنقها وصدرها .

٣ - ذكرت الآية اثنى عشر صنفاً من الناس يحل للمرأة أن تبدى زينتها غير الباطنية أمامهم ، ولم تذكر الأعمام والأخوال ، لأنهم كالآباء .

٤ - أمر القرآن الكريم بإسدال الملابس حتى لا ينكشف شيء مما نهى عن الكشف عنه ، وعلل لهذا الأمر بأنه صيانة للمرأة ، وحماية من أذى المجان ، ولم يذكر أنه لتحقير المرأة ، أو لضعف الثقة بها ، وذلك أن المرأة التى تتبرج ، وتعرض على الناس مفاتنها ، وتتخلع فى مشيتها ، وتتثنى فى حركاتها ، وتتعمد التطرية فى حديثها ، هذه المرأة توقظ الفتنة وتمتهن كرامة الأنوثة ، وتطلق الألسنة للنيل منها ومن أسرتها .

لهذا لم يستثن القرآن الكريم من هذا الحكم إلا العجائز اللائى يئسن من الرجال ، وانصرف عنهن الرجال ، فلا إثم عليهن فى أن يظهرن للملأ من غير حجاب كالمعطف والملاءة والسابرىّ ونحوها ، على ألا يقصدن من هذا التحلل تبرجا أو محاكاة لمظهر الفتيات ، والخير لهن فى ألا يتكشفن ويضعن ثيابهن .

٥ - وليس المراد من الجلباب الضافى أن يكون ضافى المظهر دون المخبر ، فإن من الجلابيب الطوال المقدود والممشوق الذى

يضغط على بعض مواضع الجسم ويبرز بعضها ، ومنها ما يشف عما وراءه شفيفا ، فقد دخلت نساء على السيدة عائشة وعليهن ثياب رقيقة ، فقالت إن كنتن مؤمنات فليس هذا ثياب المؤمنات . وقال ﷺ : « إن من أهل النار نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها » .

٦ — وحرام على المرأة أن تتعمد استرعاء أنظار الرجال إلى ما خفي من محاسنها بأية وسيلة من وسائل التنبيه والاسترعاء ، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ فقد كان الخلخال حلية ، وكانت رناته تسترعى الأسماع والأبصار ، وقد تنبىء عن سوء المقصد وخبث الطوية .

□○□○□

(٤)

وإذن فقد تبين أن الإسلام ينكر التعرى الذى يتجلى فى المينى جيب والميكروجيب والمايوه وما شاكلها .

١ — فليس لنا نحن المسلمين أن نسوغها أو نحللها .

٢ — وليس من الحق فى شيء أن نخضع الشريعة لما يريده الناس ، ويتشهاه آخرون ، بل الحق أن نخضع أولئك وهؤلاء للشريعة ، وإلا كان الدين مجاراة للأهــواء ، وممالأة للرغبات ،

وذهبت أحكامه وحكمته سدى ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾[١]

ولنفرض أن ناساً تعارفوا فى بلد على العرى الكامل ، فهل نقره ونطوع الشريعة لما تعارفوا عليه ؟

ولنفترض أن قوماً اتفقوا على الاتصال الجنسى بغير عقد ، وأنهم وجدوا فى ذلك منافع لهم ، فهل نخضع الشريعة لما اتفقوا عليه ؟

ولماذا لا نقول أن الواجب على الحكومات أن تخضع القوانين للشعوب ، لا أن تخضع الشعوب للقوانين ؟

وأيهما هو الذى يجب عليه أن يطيع الآخر ويترسم إرشاده وأمره ، المريض أم الطبيب ؟

٣ — ولقد سن خالق البشر العليم بطباعهم وبخفايا نفوسهم حدود العبادة تكفل خيرهم ، فلزام عليهم ألا يتعدوها ، وحتم عليهم ألا يحاولوا التفلت منها ، ولو أنه سبحانه علم أن الغريزة الجنسية تخمد أو تترقى بأن يرى الرجال مفاتن النساء رؤية متكررة ما شرع الحجاب ، وما حدد الأصناف الذين لا حرج على المرأة فى أن تبدى على مرأى منهم زينتها .

وإذا وجد فى الناس ما يقمع غريزته أو يكبتها أو يتسامى بها ،

---

(١) سورة : المؤمنون ٧١ .

حتى إن شاهد المرأة الحسناء فينصرف عن حسنها ليكبر خالقها ، فإن هؤلاء إن وجدوا آحاد فى مئات الملايين من الناس .

٤ — ولم يخلق الله شخصاً مجرداً من الغرائز ، لأن الغرائز كما عرفها العلامة النفسى مكدوجل استعداد فطرى نفسانى جثمانى يتضمن مظاهر الشعور الثلاثة ، الأول إدراك شيء أو أشياء من نوع خاص والالتفات إليها ، والثانى الشعور بحالة وجدانية معينة تنشأ عن هذا الإدراك ، والثالث القيام بعمل خاص نحو الشيء المدرك ، أو على الأقل الشعور بالميل إلى هذا العمل .

ولست أنكر أن للغرائز وسائل إعلاء وإبدال ، ولكن الحق أن غريزة الطعام لا تتسامى بعرض صنوف من الطعام والشراب على أنظار الجياع ، بل تتسامى بالقناعة والصيام والإيثار ومراعاة ما تقتضيه صحة الجسد وقواه .

وغريزة الغضب لا تهذب بتوجيه السباب وتصويب الأذى إلى الغضبان ، وإنما تهذب بتعويده الصبر والحلم والصفح والغفران .

وغريزة الخوف لا تُقَوَّم بتعريض الخائف لضروب مما يفزعه ويزيده فَزَعا ، بل تقوم بتعويده الجلد والاحتمال والثقة بالنفس وبالله .

كذلك الغريزة الجنسية — وهى فى نظر فرويد منبع السلوك ومحوره وإن خالفه بعض علماء النفس مثل مكدوجل ولكنهم لم يهونوا

من شأنها أو من سلطانها — من العبث أن نتصور خمودها أو نحاول تعليتها بالمشاهدة المتكررة للمفاتن ، أو التملى بالنظر إلى مواضع الإغراء ، وإنما نسمو بها ونعليها ونهذبها بالتعفف والتصون وإيقاظ الضمير وإيصاد أبواب الفتنة وامتثال ما أمر به الله .

والحمد لله



فهـــرس

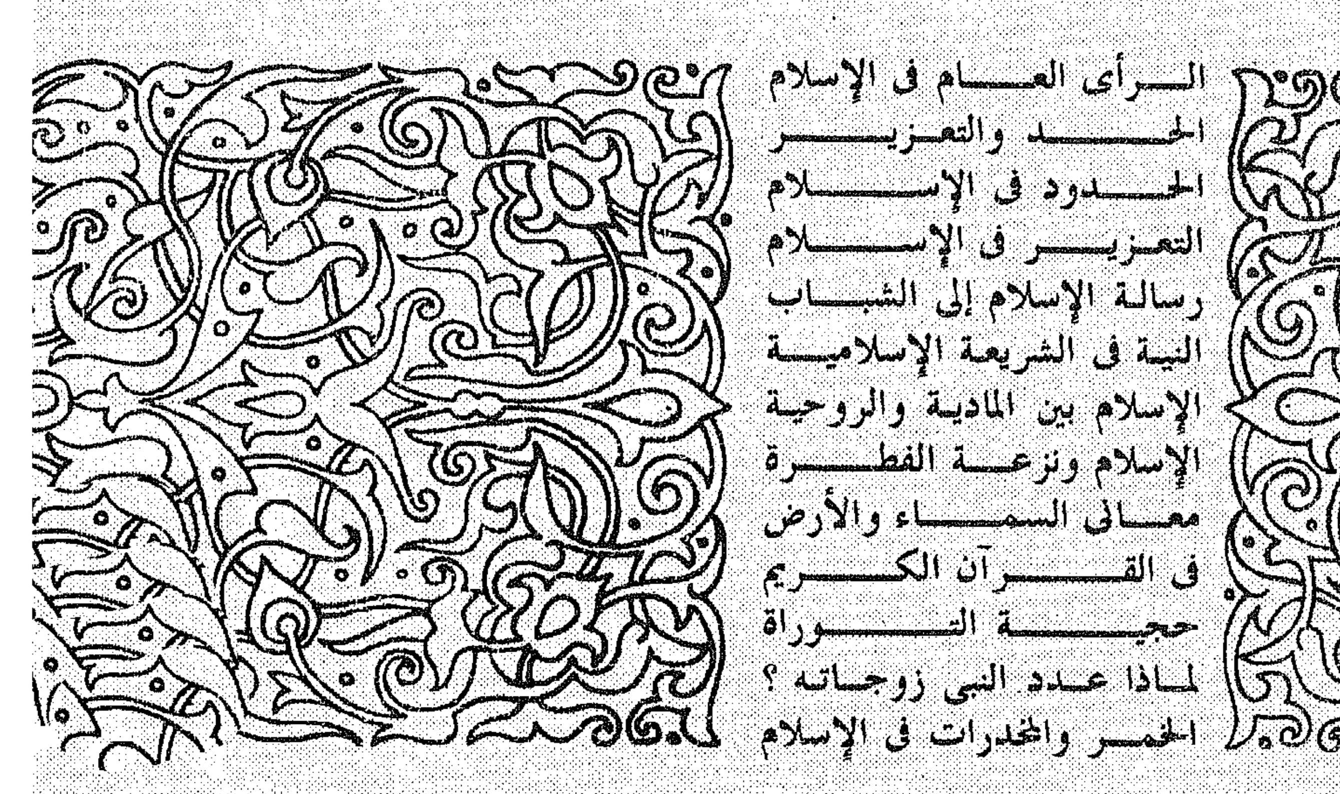
الموضـــــوع | الصفحة

* * *

رقم الإيداع ٧٢١٤ لسنة ١٩٨٨


AMOUN
أمون للطباعة والتجليد
٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦

مع الإسلام



الرأى العام فى الإسلام
الحد والتعزير
الحدود فى الإسلام
التعزير فى الإسلام
رسالة الإسلام إلى الشباب
النية فى الشريعة الإسلامية
الإسلام بين المادية والروحية
الإسلام ونزعة الفطرة
معانى السماء والأرض
فى القرآن الكريم
حجية التوراة
لماذا عدد النبى زوجاته ؟
الخمر والمخدرات فى الإسلام

